يمام بلا أجنحة

يمام بلا أجنحة

مجموعة قصصية

سمـــر إبراهيـــم

يمام بلا أجنحة

اسم الكاتبة: سمر إبراهيم
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: عبير محمد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – يناير ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2204 / 2019

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهـــــــــداء..

إلى أولادي أصدقائي حبايب قلبي، الداعمين لي دومًا..

إلى صديقاتي المقربين جدًا جدًا وأولهم أمي (دينا ماضي) تلك الصديقة والأخت والأم والإنسانة التي لولاها ما كنت ، فهي السند في حياتي ، مهما تحدثت لن أوفيها حقها ، بارك الله في عمرها.

إلى غاليتي وأختي وصديقتي وجارتي (عزة) التي منذ عرفتها ما أحسست بالوحدة.

إلى أهلي وإخوتي حفظكم الله ..

إلى أصدقائي الغاليين والمقربين لقلبي وهم يعلمون ذلك .

أهديكم هذا العمل الذى يمثل مرحلة هامة في حياتي ، وقفزة على طريق الأمل والتفاؤل في القادم، بعد معاناة رحلة كادت أن تلفظ فيها أنفاسي ، ولكن الحمد لله على عطاياه .

الكاتبة الصحفية والروائية
دكتورة سمر ابراهيم

مقـــــدمة

الطاقة الإيجابية ، والروح الإبداعية..

تأتي هذه المجموعة لتزداد الثقة بالكاتبة وبقدرتها علي الغوص في العلاقة بين الرجل والمرأة.. بهدوء تام وفهم جاد لكيفية نجاح هذه العلاقة المتوترة ،وبرسالة شيقة، يملؤها التحدي والاصرار على مواجهة المعركة الدائمة بين الرجل والمرأة، وأكاد أقول على الصعيد الآخر في شخصية الكاتبة أنها تمتاز برشاقة الكلمة الغير متكلفة ، مرحة ، فتجدها تواجه أخطاء الذكر وتصل به إليّ صدق الاعتراف بدور المرأة وأهميتها بكل رشاقة وانسيابية في المعاني.

كل ذلك في (يمام بلا أجنحة) نسيج من القصص الواقعية إلى حد كبير..

كل التمنيات بمزيد من الإبداع ومزيد من الإمتاع للقارئ.

الكاتب والناقد
عادل عبد الرازق

بائع السعادة ..

إذا جعلت من حولك سعداء فستتضاعف سعادتك، ولكن إذا وزعت الأسى عليهم فسيزداد حزنك .

إن الناس في الغالب ينسون ما تقول، وفي الغالب ينسون ما تفعل، ولكنهم لن ينسوا أبدًا الشعور الذي أصابهم من قِبلك ..

فهل ستجعلهم يشعرون بالسعادة أم غير ذلك؟؟

بيت صغير مبنى من الطوب اللبن ، يعيش فيه عجوزان رفيقان للحياة كل منهما مريض بمرض مختلف عن الآخر. ولكن كل منهما لا يعرف مرض الآخر. فواحد منهم كان يستطيع السير والوقوف على فترات في اليوم، والآخر لا يستطيع النهوض حتى لقضاء حاجته ، ظلا هكذا سنوات ولا أحد يخدمهما سوى فتاه صغيرة لم تتجاوز العشرين من عمرها كانت تسكن بالجوار، وكانت تحبهما لخفة ظلهما. فكانا يهونان عليها وحدتها فهي بلا أب أو أم أو أهل ، وهما أيضا بلا أبناء. فكان كل منهما يرى غايته في الآخر. وعندما كان يحل المساء كانت تذهب الى منزلها بعد أن تكون لبت لهما كافة طلباتهم ، وكانا العجوزان يتسامران ليلا فكان الزوج يحكى لزوجته عما بدا له من جمال الفتيات، والنزوات التي مر بها في شبابه. ولكنه لم يرَ أجمل منها حُسناً ..فكانت تفرح كالطفلة الصغيرة وتتغنج عليه في دلال ، وهو سعيد لسعادتها وظل كل يوم يطيل في الأحاديث الشيقة التي تعيد لهما شبابهما ويحكى عن شقاوته مع الفتيات الشقراوات والسمراوات والحمراوات . وهى أيضاً تحكى كيف كانت لها مغامرات في

الحارة مع الشباب وكيف كانوا يعاكسنها ويتراهنون على جمالها وكانت لا تعيرهم اهتماما.. وكأنها كانت تنتظر فارسها. وعندما جاء هو ليتزوجها كفت عن هذا العبث لأنه هو من خطف قلبها منذ الوهلة الاولى .. ظلا هكذا كل يوم عندما يحل المساء يجلسان ليتسامرا .. الزوج العجوز يجلس على الأريكة بجوار النافذة يحكى، والزوجة القعيدة مستلقية على ظهرها تستمع في شوق معهود لأحاديث زوجها . و كانا كل منهما يغمض عينيه ليسمع الآخر ويتخيل كم كانا كل منهما حلم للأخر وأمنياته في الحياة.

كان الزوج العجوز يصف زوجته بأنها أجمل نساء العالم بشعرها الذهبي وبياضها الناصع وجمالها الفتان الذى ما زال يؤثره وأنها هي حب حياته الذى عوضه عن الولد والأبناء ،فهي له الابنة والزوجة ورفيقة الدرب. فكانت الزوجة العجوز تغوص في بحر العسل متأثرة بهذا الكلام المعسول من زوجها ورفيق دربها ..وفى يوم من الأيام طلبت العجوز أن تتأبط ذراع زوجها وتسير معه على حافة البحيرة التي بجوار منزلهما فقال لها زوجها اغمضي عينيك وسترى كيف نحن نسير عليها ، حيث تغمرنا أمواجها ونحن نرى الناس تؤجر المراكب ويبحرون فيها والأولاد وهم يلعبون ويلهون في الماء ، هل ترين الجميع حولها الآن . هل ترين المحبين الذين يجلسون تحت ظلال الاشجار التي حول البحيرة ؟ ما أجملها من زهور !وما أجمله إبداع للخالق!

.. هل ترين هذه الوردة الحمراء التي تتمايل على غصنها ؟؟ اجلسي هنا سأذهب لأقطفها لكِ .. يا الله ما أجمل رائحتها الذكية وألوانها البديعة ، هل ترين طائر الرقراق الذى يقف على الغصن هناك ؟

ما أجمله!...

وفيما كان يصف الزوج لزوجته العجوز هذه المشاهد التي كانت تتوق لها روحها ، وهى مغمضة عينيها ومبتسمة في سعادة عارمة وكأنها تتمشى حقا على حافة البحيرة وترى كل هذه الأشياء المبدعة حيث المراكب ، والمحبين، والأولاد ، والزهور، والطيور...فقد فاضت روحها الى بارئها وهى متبسمة كما لو كانت ترى الجنة والملائكة يزفونها .. وجاءت الجارة الصغيرة لتلبى طلبات العجوز بعد وفاة زوجته فوجدته يمكث بجوار الشباك يبكى فسألته لماذا تبكى يا جدى فقال لها من سأقص عليه بعد الأن خيالاتي؟! كنت أريد إسعاد زوجتي أكثر من هذا.فهي طيلة حياتها كان لديها شلل اطفال ، ولكنها كانت تضغط على نفسها حتى تخدمني الى أن وصل بها الحال أن رقدت نهائيًا ..ولم تعد تستطيع حتى أن تقضى حاجتها، وأنا طيلة عمرى كفيف ولكنى كنت أستطيع قضاء حاجتي دون أن تعلم أنى كفيف حتى لا أثقل على كاهلها مرارة خدمتي. وكنت أحكى لها عن مغامراتي الخيالية مع الفتيات وكأنني أرى كل شيء حتى أثير فيها الغيرة علىّ وأشعر بحبها لي وأراه في عباراتها وهى لا تعلم أنى لم أُبصر ولم أرى جمالها رغم أنى كنت أوصفها وصفًا دقيقًا كنت أتخيلها هكذا . فكنت أرى الوجد في عينيها وأسعد بصوتها المرتعش من الخجل .. كم كنت أتمنى أن يقضى نحبى معها ولم تتركني وترحل وحدها ..

****

ترانيم الشيطان

بنوتة رقيقة وجميلة تتلهف لها العيون ، كانت في طريقها للذهاب الى إجتماع عمل حيث تعمل "هَيا" في شركة دعاية واعلان .

وعندما وصلت الى مقر الإجتماع إذ بها تفاجأ بشاب جميل هو صاحب العمل الذي تعمل به رغم صغر سنه وإسمه أدهم ، ظلت تنظر اليه ، هو أيضًا أطال في النظر اليها وكأنهما يعرفان بعضهما البعض..

"هيا "..تعود بذاكرتها للوراء منذ خمسة عشر عامًا مضت حينما كانت طالبة بالثانوي وبعدها مرحلة الجامعة عندما كانت وقت تلك الفتاة الرقيقة الحالمة التي تتمتع بروح بريئة رومانسية ، ولكنها جادة لا تأخذ الأمور بسطحيتها ، فكانت عميقة التفكير في كل شيء تحسب خطواتها جيدًا قبل أن تخطوها.

بداخلها مزيج غريب بين المنطق والتشدد في العقل ، والرومانسية الحالمة حينذاك تذكرت "هيا "..كيف مقتت خطيبها الذي تركته لأنه لم يكن لديه شخصية قوية مثلها وكل أموره وقراراته تعود لوالدته فهي التي تفكر له وتتخذ القرارات ،

فعكفت "هيا "على فسخ الإرتباط .ومنذ تلك الواقعة وهى لم تفكر في الإرتباط مرة أخرى لعدم عثورها على من يشبهها..

وإستفاقت من تفكيرها ووجدت نفسها ترنو الى أدهم وهو أيضا يرنو اليها ،وظلت النظرات بينهما حتى بدأ الإجتماع وسرقت "هيا "الكاميرا من وسط الموجودين وكان الجميع يستمع ، و"هيا" تتحدث

بلباقة شديدة وخفة دم أما أدهم فظل يستمع لأفكارها ومنطقها بالعمل فوجد أنها تختلف عن الآخرين في كل شيء.

هو أيضًا شاب وسيم فارع الطول قمحي البشرة أسود الشعر مما يعطي قوة الملامح والجاذبية، لا تستطيع العين ألا أن تعجب به...

أعجبت "هيا" بأدهم بشدة وتعلقت به وكأنه هو الحب الذي تبحث عنه من سنوات مضت ولكنها أبت ان يبدو ذلك عليها فهى لازالت متحفظة في مشاعرها وتخشى ألا يلتفت لها يومًا,

فكيف لها أن تطمح في ذلك وقد يكون لا يراها لتناسبه فكبتت مشاعرها بينها وبين نفسها وعانت من لوعة الحب الصامت الذي لم يلهب إلا وجدانها وحدها. .

وما تدرِ ربما بداخله شيء نحوها هو الآخر ولم يرَ منها شيئًا يدفعه لأن يصرح لها بما داخله هكذا قيدت "هيا" تلك المشاعر، ودعتها تكبر داخلها فقط هي وحدها ومنذ هذا الإجتماع أصبحت "هيا "وأدهم أعز أصدقاء لفترة ليست بطويلة ،الى أن فاجأها في يوم بحبه..

وإذا بها تنطق "وأنا كمان بحبك "وفى وسط هذه المشاعر المتأججة لديهم تعلم أنه متزوج ولكن زوجته لا تنجب أطفالًا.

فإنهارت وتدمرت نفسيًا بعد أن كادت تطير في السماء حتى وقعت محطمة الآمال والأحلام، وأجزمت أن تفارقه الى الأبد، وهي تحبس دمعاتها وليس بداخلها الا لوعة الحب والفراق

ولكنه أبى أن يتركها فقد عقد معها صفقة أن يتزوجا وينجبا أطفالًا وأنه سوف يصارح زوجته بهذا الحب وعليها أن تختار.

نسرين زوجته سيدة أرستقراطية ومن عائلة محترمة ولها وضعها الاجتماعي وتعيش حياة يحسدها الجميع عليها وخاصة زواجها من أدهم هذا الشاب الراقي الذى يلبى لها كافة متطلبات الحياة فهو صاحب شركة لها اسمًا في السوق وزوج حنون وكريم ودائمًا ما يغدق عليها بالهدايا بمناسبة أو بدون مناسبة وأيضًا يسمعها من كلام المحبين ما يطرب آذانها ولا يستطيع العيش بدونها يومًا واحدًا ، ودائما ما تجد منه كل ما يتصوره العاشقين في أوقات ممارستهم الحب..

ولكن لاحظت نسرين تغيُر حبيبها بشكل يثير التساؤل ولكنها لم تنبث بكلمة وخططت أن تراقبه

فإدعت أن أختها مريضة وسوف تمكث معها يومان حتى تشفى وخاصة أنها أختها الوحيدة بعد وفاة

أهلها ، فعلى الفور لم يعارض أدهم ، وحثها على الإهتمام بأختها وألا تشغل بالها به فالأهم الآن..هو أختها..

الحقيقة لو لم يكن هناك شك دب في قلب نسرين لقالت أنه بالفعل رجل بمعنى الكلمة ، ولكن!!

غادرت نسرين المنزل على أنها سوف تذهب لأختها وظلت تراقب أدهم فوجدته يخرج من العمل ولكنه لا يعود الى منزله فقد دلف الى عمارة قريبة من مقر الشركة وتجرأت نسرين وذهبت تسأل حارس العقار الذى يجلس أمام العمارة

هل استاذ أدهم وصل أم.. لا..؟ وفي أى دور يسكن ؟

فقال لها الحارس نعم هو وصل للتو، ويقطن بالدور الرابع شقة الأستاذة "هيا "فهما عِرسان جُدد...

الكلام وقع على رأس نسرين كالصاعقة ولكنها تماسكت إعتذرت من الحارس بأنها سوف تأتى في وقت لاحق .

ترجلت نسرين الى السيارة وشرعت في قيادتها ولكنها ظلت تفكر أتذهب اليهم وتضبطهم متلبسين أم ماذا تفعل ؟، وأخذت الأفكار السوداء تنهش في صدرها والشيطان يسمعها أعذب الترانيم حتى هداها التفكير الشيطاني أن تعرف أولًا من هذه الساقطة التي فضلها عليها أدهم؟؟.

وبعد يومين.. عادت من عند أختها وتعاملت مع أدهم بكل هدوء كما لم يحدث شيء ، وأدهم يتعامل معها بكل سخاء وكرم كالعادة . وجاءت في رأسها حيلة شيطانية لتكتشف بها اذا ما كان مازال يحبها أم اغوته تلك الساقطة ولم تعد تسيطر عليه.

فإقترحت عليه أنها تريد مبلغ من المال لدواعي سفر أختها بالخارج وعمل عملية غالية التكاليف وهى لم تستطع دفعها خاصة بعد خسارتها هي وزوجها كل ما يملكون في البورصة ، وافق أدهم على إعطائها تقريبًا ما يصل الى نصف ما يملك وأكتر ولم يتبقَ معه سوى الأصول -أي الشركة والشقة والسيارة -أما السيولة فقد أخذتها كلها لدواعي السفر.

وعندها سألها بلهفة كم يستغرق السفر فقالت لا يقل عن ثلاثة أشهر.

فانفرجت أساريره وتمنى لها السلامة هي وأختها.

تسرد نسرين ..

جاء الموعد المزيف للسفر ومكثت لدى أختي وأخبرتها بالموضوع فأشارت عليّ أن تمر عدة أيام وأرسل له في طلب نقود أخرى وإلا سنعود أدراجنا دون إتمام العملية وعليه هو أن يتصرف . وبالفعل نفذت ما أشارت به أختي ولكن أدهم إعتذر فلم يعد لديه سيولة ولكنه وعدني بأن يقترض من أصدقائه المبلغ ' وكان هذا ما يساوى ثمن الشركة,

وكان لأختي وزوجها صديق يحبني منذ الصغر ولكنى تزوجت أدهم فعرضت أختي عليه الفكرة بأن يتودد لأدهم ويطلب منه ان يساعده فى عمل مشروع.

وبالفعل وافق هذا الصديق وخاصة بعدما علم انى وادهم حياتنا أصبحت على حافة الانهيار .

وبالفعل ذهب لأدهم في الشركة وطلب منه مساعدته فعرض أدهم عليه مشاركته بالشركة ولكن الصديق طلب مشروع كامل وليس مشاركة فما كان من أدهم الا أنه وافق أن يبيعه الشركة ويرسل الأموال اليّ.

كل هذا خشية من أن يفتضح أمرزواجه من "هيا"

أرسل أدهم النقود في البنك الذى أشارت اليه نسرين بالخارج والآن لم يعد يتبقَ لأدهم غير السيارة والشقة و يرتع هنا وهناك مع "هيا "، ولم يخبرها بما فعله ولا بما يملك الآن

وجاء موعد عودة نسرين فجأة ولم تجد أدهم يبيت بالمنزل وأدركت سريعًا أنه فى منزله الآخر ,

فذهبت وأبلغت الشرطة على شقة "هيا "وأنها تدير الشقة للأفعال الفاضحة وعندما ذهبت الشرطة ولحقتهم نسرين هنا أظهر أدهم قسيمة الزوا ج وإعترف بأنها زوجته على سنة الله ورسوله..

فإنهارت نسرين وطلبت أمام الشرطة تطليقها ، وبالفعل طلقها أدهم وأخذت كل مستحقاتها منه الشقة والسيارة وكل ما يملكه وجردته من كل شيء وكتب بباقي مستحقاتها شيكات إما الدفع في الموعد أو الحبس.

وعاد مرة أخرى من جديد موظف في شركة كما كان قبل أن يتزوجها وترفع من شأنه . وتركته "هيا "بعد أن تسبب لها في فضيحة بالعمارة ولم تعد تقوى على النظر في عيون الناس وعادت مرة أخرى تجرأذيال الخيبة والألم مرة أخرى.

أما نسرين فبعد شهور العدة تزوجت صديق أختها الذى كان يحبها من قبل ، والذى كان يحقد على أدهم لزواجه منها.

وما زال أدهم غارق في عمله الذى لا يعلم هل الوقت كافٍ لسداد ما عليه لنسرين.. أم سيكون السجن آخر المطاف..؟...

****

ورحلت الفراشة ..

أحيانًا ما تمرّ بنا لحظة نشعر فيها أن الحياة تكاد تتوقف ، وقد لا تستمر إلا..أن الأمور تظل تسير في مجراها الطبيعي ..فالحياة لا تتوقف عند فقدان من نحب أو لفراق غالٍ علينا .

بدأت بفضفضة عابرة . ثم تحولت في بضعة أيام الى حب ، ولا تعرف كيف ..

فوجدتك وحدك أنت !!

تضيع معك كل أبجديات العشق . وتتوه منها كل العبارات .. بمجرد تمتمة عشق تحاول إفراغ ما بها من طاقات الشوق المكبوت لسنوات ...

كل المشاعر المتأججة بداخلها تحاول أن تشرح لك أن الحياة ليست سوى أنت ..

مع كل دقيقة تمر بدونك ، هناك بركان غضب ، بركان أشواق ، بركان أحزان يوشك أن ينفجر ليفضح كل شيء، ويذيع أحاديث المساء التي تظل مشتعلة عشقًا حتى يطفئها ضوء الصباح ، وتنهيدة ماضٍ تنطق بداخلها حزنًا على ما مضى بدونك .. فتبحر بخيالها في كل تفاصيلك، فتجدك أنت الذى كانت تراه بأحلامها..

تتخيل لحظاتها الصعبة بدونك ، وأنت في عالمك المكتوب على جبينك .

تتخيل وهى تحادثك في منفاك .. وأنت تتألم لبعدها عنك وبعدك عنها ..

كم هو مؤلم أن تكون عالمها وهى عالمك ، وتبتعدا كل هذه المسافات لتتركها تعانى وحدها مأساتها ، وتبقى معزولة عن هذا العالم .لا تجد من يؤنس وحدتها التي أُبتليت بها بعد فقدانها أعز ما لديها..أخ وصديق في هذا العالم .

كم حادثت نفسها أن ترحل عنك ،لأنها تخشى أن تفقدك كما فقدت الأحباب من قبل ، ولأنها لا تعرف سوى الأحزان ونيس... كم مرة ناجت ربها أن تتركها وحدها وترحل لأنها مكدسة بالهموم ، وليست كباقي من في مثل عمرها ...

فقد كتب عليها ألا تفرح وتعيش مثل باقي أقرانها لأن من حولها أقنعوها أن الجميع يطمع بها ولا يريد منها سوى ما تملكه . هي تعلم أنها خليط ألم ، وفراق، والشعور بالموت يستجدى عطفها كل ليلة لتستجيب ، ولكنها بين المُرّان فالقرار صعب ..

كانت دائمة البكاء لإحساسها بيوم الفراق .

فهي تعلم أنه آتٍ بشكل أو بآخر وقد يكون على هيئة ملاك الموت كانت في كل لقاء لا تستطع أن تظهر غير الإشتياق واللهفة ، وفى قلبها نظرة على لحظة الفراق فهي قادمة لامحالة ، ولكنها لا تعلم من أي إتجاه.. هي قد تأتى بالوداع الأبدي أم لظروف إجتماعية فهي لا تعلم من أين تأتيها الضربة القادمة .

كانت تريد أن تقول لك أسرع بالفرار قبل أن يلمحك طيف حزين فتصبح أسير لفراقه. كانت تخشى عليك أن يصيبك الحزن الذى بات يعتريها بعد فقدانها الاخ والصديق والأب وكل ما كان لديها في الحياة.

كانت تعلم أن الحب في عالمها ليس سوى قبضة من الألم ، تتلاقيا وتفترقا ..وتُبدوَن سعداء ..ثم تحترقا ..

فقد علمت منذ نعومة أظافرها أن من يضحك كثيرًا يبكى كثيرًا ومن ينعم بالحب لابد أن يحرم منه .

هكذا كان مفهومها للحب ..

كانت كل مرة في اللقاء تقرر أن تستدل الستار ، ولكنها ما بين النظرات الحائرة والمشاعر المتأججة ومُضي الوقت سريعًا لا تستطيع أن تسدل الستار.

فقد تركته للقدر الذى ينتظرها والذي حتمًا قادم لامحالة . فكانت في كل موعد بينكما تتجمل لتبدو بهية في أحلى منظر سيظل عالقًا بذكرياتك حتى لا تموت بداخلك .

كانت تحبك ولهًا وعشقًا لم تره في حياتك بعدها ، فكانت تصنع المستحيل لتجعلك تضحك من قلبك وكنت تطلب منها أن تكف عن إضحاكك لشعورك بالغثيان من كثرة ضحككما .

كنت تتركها وتبتعد وتظل تفكر في كل ما تحدثتم به حتى أنك كنت تلقى على مسامعها ما تحدثتم به وكأنه درس اليوم تسمعها إياه. كانت تطلب منك ألا تتركها وتظل مطوقًا بيديك حول خصرها لشعورها بأنك تمتلكها وهى ملك لك .

كل هذا وأكثر ، فقد كانت تحلم وتتمنى ألا تفيق من حلمها حتى وهى بين ذراعيك ،فقد كنت أنت الجنة التي تراها على الأرض والتي كثيرًا ما حلمت بها حتى وجدتك بين يديها.

وما أن أصبحتْ ملكًا لها وحقيقة أمام عينيها وفى قلبها حبك ، أصبحت هي التي تخشى عليك من حبها وقررت الإبتعاد عنك حتى لا يؤلمك بعدها ..

ولكنها !!

غابت وغابت وغابت ..

ثم قرر القدر أخيرًا أن يسدل الستار..

وجاء وقت الرحيل قبل أن تتعانقا العناق الأخير ، والدمع محبوس في مقلتيها ، وآلاف الصرخات بداخلها ، وشريط الذكريات اللعين يمر أمام عينيها ، وبصوتها الرقيق وإبتسامتها تودع كل كائنٍ من كان ..إلا أنت فتشبثت بيديك وكأنها تقول لك لا تتركني فأنت العالم السرمدي الذى رزقني الله إياه ..وأنك سوف تبقى معها في جنتها التي لا تعاود منها أبدًا..

وفجأة حان وقت الرحيل ، وعانقها الموت ، وإختفت من العالم المرير، بكل أحلامها الجميلة ، وأمانيها البسيطة

تاركة وراءها عالم لا يعرف معنى الحب الا في عينيك أنت

****

نصفى بلا آخر..

تتوالى الأيام والليالي السوداء على حياتها. بعد أن فقدت حبها ورفيق دربها ، وصارت ترى حياتها في قبرٍ مظلم .

فمنذ أن تركت منزلها ورحلت بعيدًا عن الحياة المتهالكة التى عاشتها في هذا المنزل العقيم الذى شهد زلاتها، وأناتها، وصرخاتها، والقدر مازال يطل عليها بلحظاته القاسية رغمًا عنها ، وأدارت لها الحياة ظهرها بعكس أحلامها.

منذ اللحظة الأولى بعد أن كانت تتخيل كهولتها في هذا المنزل ، وأحفادها حولها يلعبون ويجرون في كل مكان . لكن ماذا حدث ؟!! ففي البداية عندما جمعني القدر بمن هواه قلبي ، وقابلت حبيبي . ذاك الحلم الجميل الذى كنت أُغمض عيناي على صورته، وكم تمنيت أن يجمعنا الزمان . حتى حدث أجمل ما توقعت .

ومرت الأيام والسنين بحلاوتها ومرارتها .

تارة تجرفني في بحور الظلمات ،وأخرى أنجو منها بإرادة الله حتى ظهرت التي ماكنت أتخيل أنها ستفقدني السيطرة على مقاليد أموري ، ولكن دون أن أدري.

فعندما جاءتني تلك التي لم أكن أعرفها من قبل، فهي زميلة لزوجي في العمل ، جاءت لتتعرف عليّ وتبتغى مطلبًا كنا قد عرضناه للبيع. وبعد الترحاب بها وعمل الواجب معها ، وإستدراجي لها في الحديث الذى سردت كل تفاصيل حياتها الزوجية فيه. إكتشفت أنها مطلقة ، وهذه المعلومة لم أعلمها من زوجي من قبل .

وفى سياق الحديث معها علمت أن زوجي كان يرافقها في البحث عن محامٍ ليأت لها بنفقة شرعية لها ولبناتها حتى أنه أقنعها بأن طريق المحاكم وعِر جدًا وأحباله شائكة، وأقبل على مساعدتها بصدررحب . كانت تحكى عن زوجي أمامي وكأنى لا أعرفه، وتتمناه أمامي متناسية أنني زوجته ، وأرادت صداقتي وفرض نفسها على حياتي، ولكنى رفضت بيني وبين نفسى لأنى لم أتقبلها كإنسانة من البداية ولا أدرِ لماذا ؟

هل هي حاسة المرأة ؟

أم شعور مقلقًا إنتابني من جرّاء هذه الزيارة التي إنتهت بعد مضى سبع ساعات ؟

ثم ودعتني على وعد أن أدعوها لزيارتنا وقضاء يومًا مع الأسرة والأولاد ، وإختارت هى أن يكون يوم إجازة زوجي.

ثم جاء زوجي بعد رحيلها وواجهته بما قلقني من الزيارة ولكنه ثار علىّ واتهمني بأن الهواجس والغيرة تقتلني .

ولكنى توعدته إذا في يوم من الأيام إكتشفت خيانته فلن ينقذه أحد من يدي..

ومرت الأيام بضغوطها المستمرة ،حتى جاءت عاصفة كادت أن تأخذ في وجهها الغالي والنفيس وعلى أتفه الأشياء، وفى ظروف مرضية شديدة لي قد ترك زوجي ورفيق دربي المنزل.

تركني أبحث عن أسباب لهذا العِراك الذى حدث دون سبب واضح .

يا الله فقد أظهرته الحياة غير أحلامي ومن أول عاصفة هكذا . وبدلاً من أن يقف بجانبي وأنا مريضة تركني في لحظات الفراق وتمكن الجرح مني، وبات نصيبي من الحزن أفدنة.

فقد مكث ما يقرب من ثمانِ أشهر بمنزل عائلته دون السؤال عن أبنائه أو عني، وذلك ما بين التهديد والوعيد من حين لآخر حتى تدخل أهل الخير بيننا. وعاد للمنزل مرة أخرى .

ومرت الأيام والسنون حتى جاءت اللحظة القاصمة لظهري فقد تغير زوجي وأصبح كثير الكلام في الهاتف بعد أن كان لا يطيق أن يضعه على أذنيه.

فعند دخوله المنزل لا يكون شغله الشاغل الا الهاتف الخلوي وذلك بالساعات .

كل هذا وأنا لست متأكدة أن يكون الطرف الآخر إمرأة .

وفي يوم من الأيام سمعته يحدثها، وينطق بإسمها، تلك الإنسانة التي دخلت منزلي منذ سنوات.

وكان الحديث فحواه بأنه لا يهمني غير الشكل الاجتماعي، وسأطلب المحافظة عليه، وأني لم أرفض، وأن أبنائي منهم من لا يعنيه زواجه، ومنهم من سيتأثر.

أقول الحق أنا صعقت مما سمعته.

وبعدها بدقائق خرج ليتحدث بحرية خارج المنزل وعندما عاد واجهته بما يدور بخلده، فقال لي نعم سأتزوج إن لم يكن لديكِ ما يمنع . فجاوبته لم أمانع ولكن إذا كانت نفس الإنسانة التي أتت من قبل الى منزلي فعلى جثتي أن يكون، وسيطلقني المأذون الذي سيعقد عليكما وسوف أفضح أمركما للعامة وفي كل مكان .

فكان كلامه وردوده علىّ تؤكد أنها هي التي أقصدها .
وعلى الفور تحدث في الأمر مع أحد أبنائه بكل صراحة من بداية كيفية إدارة المنزل الى المصروف وكل الرفاهيات على أن يقضي نصف الأسبوع معها، والنصف الآخر معنا .
كل هذا شد وجذب بينه وبين أحد أبنائه الى أن إنتهى الحديث بأنه قد إتخذ القرار ونفذ الأمر..
نشب الحريق بقلبى ولم أكن أعلم أن نهاية زواجنا ستكون سريعة هكذا وأنه سيفارقنى هكذا. حبيبى الذي كنت أُغمض عيناي على صورته، ،فقد بات في قلبى كالخنجر المسموم الذي طعنني به في كرامتي ومشاعري وأُنوثتي .. ومع هذا الإحساس والشعور القاتل ليتني كنت تحليت بالصبر وتكتمت الأمر وما كنت فجرت ماصارحني به .. آه يازوجي ..ياحب عمري ،لو كنت تعلم مقدارك في قلبي ماكنت إستسلمت لأي إمرأة غيري ..
ثم بعد هذا الجدال مع أبنائه لملم حقائبه ورحل إستعدادًا للحياة الجديدة .
وترك المنزل مرة أخرى وأُسدل الستار عل هذا الهراء، وماتبقى غير الرتوش الأخيرة .
ولكنى لم أوافق على هذا الإقتسام الذى يتحدث عنه بينى وبين الأخرى. وأخبرت الجميع أنى لا أوافق على هذه القِسمة وإما أن يكون كله ملكى وحدى وإما الطلاق وأن أتركْ المنزل .
فأنا لن أتحمل أن أشم رائحة أخرى بجسد حبيبي .
لن أتحمل الشعور بأنفاسه تتجول في جسدها ، لن أقوى على المبارزة بينى وبينها للنيل منه .

أنا لا أقبل الجزء وإما أن أحتل الكل أو أرحل .
يكفينى أن أراه سعيدًا معها.
ويكفينى أن يظل طيفه يلاحقنى كظلى في وضح النهار، وأختم به أُمسياتى عندما يُسدل الظلام .
ولكن عود متسائلة بعد أن دُمِرت سنين عمرى الماضية بهذه البساطة، فما ذنبى أنا؟!! وماذا كنت فاعلة حتى تشطرنى هكذا ؟؟
فقد حرمتنى من كل متاع الدنيا وظللت أدور بمحرابك دون أدنى تفكير فيما سيحدث لي ..
أنا الأن أريد منك عودة عمري الذي مضى، وصحتي التي أفنيتها لخدمتك، وكل شيء منعتني عنه حتى لا أنشغل عنك .
أريد حقوقي التي تنازلت عنها رغمًا عني حتى أسعدك ، أعصابي التى أحرقتها في سبيلك ، كرامتي التي أُهدرت بحجة أنه لايوجد شيء مابين الرجل وزوجته إسمه الكرامة.
مع أني أعلم أن كرامة المرأة هى تاج على رأس الرجل...
من فضلك أعد لي كل هذا فما أنت فيه الآن أنا التي دفعت ثمنه، فأنا التي تحملت أن أكون درجات سلم حتى تصعد أنت.
وأنا التي رضيت أن تأكلني لحمًا وتقذف بي على طول يدك عظامًا للكلاب تنهشها.
وبالنهاية يكون هذا جزائي ...
فماذا أقول لك بعد هذا غير أني عندما يحين أجلي ويخبروك أني أختنق وأن صوتك أنفاسي الأخيرة فلا تلبي ،وقل لهم ما بيني وبينها إنتهى .

وعندما يخبروك أنى أغرق في بحر الظلمات وإنك قشتي التي ستنقذني فلا تلبى لهم مطلبًا .وأن أخبروك أني أرتجف من شدة البرد والمرض، وأنت غطائي فلا تسمع لهم قولاً .

وعندما يخبروك أني أفتضح لاقدّر الله والناس تنهش سمعتي ،وأن وجودك بحياتي ستري فبالله عليك لاتنصت لهم .

وأن أخبروك أني أذبل وأشيخ وأن طيفك نضارتي وشبابي فلا تلبي.

وأن أخبروك أني أغيب عن الوعى وأنطق بإسمك وأن حضورك حواسي فلا تلبي .

وأن أخبروك أني أتساقط للهاوية وأن ذراعيك أجنحتى فلا تلبى .

وإن أخبروك أني أتضور جوعًا ولم أجد لقمة العيش وأن رؤيتك لقمتي وشبعي فلا تلبي .

وأن أخبروك أني أهذي وأوشك على الجنون وأن وجودك وعطرك إتزاني فلا تلبي .

وأن أخبروك أني أنازع الروح بعسر وأن روحك يسر فلا تلبي.

وأن أخبروك أني أموت وأحتضر وأن رؤيتك إستشهادى فلا تلبي.

وإن أخبروك أني تحولت الى رفات وأن روضتى صلاتك على جثماني فلا تلبي .

وأن أخبروك أني سكنت قبري وأن جلوسك على تربتي روضتي فكل الرجاء لاتلبي .

فأنا أرجوك أن تمنحني فقط فرصة لكي أموت بهدوء وبلا هّمٍ وغَمٍ قد يأتيك أو يسبب لك ضيق من بعدي ..

فبعد أن كنت أتمنى أن أموت على صدرك وأن تقوم أنت بغُسلي فالآن حتى هذا الحلم بات صعب المنال، وبرغم الألم الذي في صدرى لم أنساك مهما حصل .

فلا تظن أن قلبى يومًا سيدق لغيرك .

فالقدر الذى أخذك مني وحكم علىّ بالوحدة سأنتظره حتى يأتي... وها أنا ذا فى إنتظار خريف جديد ، علّها تزهر وتثمر ليورق قلبي ويعود اليه النبض من جديد .

وسوف يكون اللقاء بك هو أمنيتى حتى نلتقى بمشيئة الرحمن ، وهذا وعد مني من الآن ...

وتتنهد تنهيدة تنطلق الى عنان السماء قائلة ..

ليتنى ماقابلتك ولا أحببتك ولا تزوجتك، فلم يعُد بيننا الآن لقاء ، وأصبح نصفى بلا آخر، ولم يداوِ جرحي ويلملم أُشلائي وحزني إلا سنيني معك بحلاوتها ومرارتها منذ عرفتك.

فهى التى ستشاطرني الأشواق والأحزان ستلازمني ماحييت... ليتنى ماتذمرت وقبلت الإقتسام فيك ، وماكنت أضعتك ولا أضعت الحب الذي كان ...

أما الآن لم يتبقَ لي سوى الندم والأحزان ..

فأنا أعلم أن عودتي لك من المستحيل لأن الخريف لاتورق فيه الأزهار ولا تثمر فيه الأشجار....

****

فوق مستوى المستحيل

عندما تركتنى لن تتصورَ مقدار الألم الذي سببته لي ،فبعد أن كان صوتك يهز أرجاء قلبي أصبح الآن يهز قلبها هى.

بعد أن كانت يداك تحنو علىّ وتربت على كتفي وأنا فى كامل تعبي ، أصبحت تحنو وتربت عليها هى.

بعد أن كنت فى عينيك أجمل نساء العالم ولايخلو حديثك من مغازلتي ، أصبحت تغازلها وتسمعها أجمل الحان العشق..

بعد أن كنت تسهر طيلة الليل تحكي لي يومك كيف صار ومع من تقابلت ، أصبحت تسهر معها وتناجيها فى مسائِك هى.

بعد أن كنت تمسح دمعتى بيديك الحانيتين وتدغدغ مشاعري بكلماتك العذبة ليذهب حزنى ، أصبحت تفعل هذا معها ، وتدغدغها هى...

بعد أن كنت تأتيني فى المساء ،ترتمى بين ذراعي وتطلب مني أن أضمك وأغلق عليك بقوة فكنت أخشي عليك بأني أن أؤلمك ، فكنت تيب بأنك تريد أن تنفذ الى أعماقى لترى مقعدك ، فأصبحت ترتمى بين ذراعيها هى ، وتطلب منها أن تضغط عليك بقوة ، لتتنفذ الى أعماقها لترى مقعدك بداخلها..

كنت تغار من أحمر شفاهي وهو مطبوع على شفتاي ، وتطلب منى زالته لأنه يقبلنى بحرارة ، فأصبحت تغار من أحمر شِفاها وتطلب منها إزالته لأنه يقبلها هى..

كنت تشتهيني ليل نهار ، وتخشي أن تغمض عينيك حتى لاتضيع صورتي لحظة من أمام عيونك فأصبحت الآن تشتهيها هى ، تقبلها هى ، تلامسها هى ، وتغدق عليها بكلمات الغزل والثناء عليها.. هى .

. فأتساءل الآن كيف بدّل الله حبك الذي كان أنهارًا ووجهه الى التي ..هى ؟ ؟

كيف أصبحت مشاعرك كالوعاء التيفال الذي لايلتصق به شيء ويعود نظيفًا في لمح البصر لإستقبال الجديد الآتِ من حيث لايعلم..

هل تعلم أن بقدر حبي لك وبقدر عذابي في بُعدك فقد إتخذت قرارًا ؟

-فالبداية كان صعب لمجرد التفكير فيه، أما الآن فما أيسره !...

فبقدر حبي لك وعشقي وولهي بك ..بقدر قدرتي على نزعه من قلبي وإستئصال قلبي أيضًا وإستبداله بقلب جديد ..

قلب قادر على إستعادة روحي من جديد .. وحياتي من جديد ...وولهي وإشتياقي وحنيني وحناني من جديد ..

كما لو كنت عائدة من رحم جديد .

أخطو خطواتي الأولى بعد أن حبيّت هائمة على وجهي ..

نعم أنا الآن صاحبة القلب الجديد بعد إستئصال الذى عطبْ ، ولم يعد يعمل ...

أنا الآن المُحِبة بقدر ماعانيت ، فقد وجدت من يحنو علىّ ...من يربت على كتفي ليمحو آثار العدوان الذى أصابنى ..

وجدت من يطبع عطر أنفاسه على جبينى ليمحو معاناتى،...من يشبك أصابعه فى يدي ويحتضنها حتى تنصهر فتمتزج بماء الدفء الذي ينساب أنهارًا من حرارة مشاعرنا الصادقة،...

أنا الآن بين يدا من يعرف كيف يكون محبًا لي ومخلصًا لمشاعري...

نعم وجدت قلبًا بكل ماتعنيه هذه الكلمة يخشى عليّ...يفرح لفرحي.. يشاركني همومي وأحزاني .. يقف على أفكاري ليلبيها قبل إنطلاقها ... يشبك أصابعه لتكون سلم أصعد عليه وأصل لمبتغاي ...

أنا الآن بين يدا هديتي من السماء ..

وكنز العمر بعد الشقاء ..

وفرحة القلب بعد العناء ..

ونور القمر بعد الظلام..

وأمل العُمر بعد اليأس في أن أعود مرة أخرى للحياة .. أنا الآن أسعد مخلوقات الله ..فوالله هذا كرم ربي لي بعد أن وهبني عمرًا جديدًا ...

فأما أنت !! فمبارك عليك حياتك التي أخترت ..

وهنيئاً لك ملذاتِك التي تعودت،...

وحسرة على قلوب بك تهدْمَت..

فسيأتى يوم وتذوق مرارة ماصنعْت..

وقتها فقط ستشعر بالألم الذي به أنا تألمْت،...

وتتجرع مرارة صبرًا منه قد تعلمْت..

ولن يمِنْ الله عليك بالشفاء مثلما شفيْت..

فأنت الجاني وليس من عليه جنيْت..

فالعقوبة ستكون الّهية على كل ذنب إقترفْت ،

والندم وقتها لايفيد فكيف كان العقل عندما هويْت وغويْت..

فقل للشيطان هنيئًا لما أغواك به وإرتضيت...

أن تقع فى شباكها وبحب عمرك ضحيْت..
فالخيانة يكون عقابها بقدرِ الفعل ففعلتْ..
فعلى الدنيا السلام طالما بشقاء قلبي عليك هُنت
.. فلك جزاؤك عند الله على مافعلت وابتليت

****

فستان أحمر

إستيقظت في ذلك الصباح المؤلم فهو يوافق يوم ميلادها، لتنظر حولها، الى غرفتها التي قد غزت أيامها الوحدة فقامت متكاسلة والنوم مازال بعينيها، لتتجه الى الحمام حتي تجهز نفسها للذهاب الى العمل الذي تُلهى نفسها به ويضيع الوقت معه..

وما أن إنتهت حتى ذهبت الى دولاب الملابس وفتحته فرأت ذلك الفستان الأحمر ،فقطبت حاجبيها ولم تعِر بالاً ، وإرتدت ملابسها مسرعة دون أن تضع مساحيق على وجهها فهي لا تهتم بمثل هذه الامور ثم إستقلت سيارتها وذهبت الى عملها ،فهي تعمل منسق إعلامي في مؤسسة إعلامية كبيرة ، وفي طريقها الى العمل سرحت كثيرًا في حياتها وكيف هي بهذه الرتابة وهذا الهدوء القاتل الذى يعتريها . .فاليوم عيد ميلادها وقد أتمت عامها الأربعون ، يا لها من سرعة في الأيام والسنين .. تنهدت بعنف وأخذت تتساءل ما الذي فعلته بحياتها؟

وكيف لها أن تستمر هكذا دون حب ؟ دون رفيق درب تستند عليه وتكمل معه ما تبقى من سنوات حياتها ؟

ثم تنهدت مرة أخرى وأخذت تسحب خيباتها وحزنها خلفها ، وتوقفت بالسيارة أمام المؤسسة التي تعمل بها ودخلت ، ألقت الصباح على موظف الأمن متوجهة إلى مكتبها لعلها تستطيع ان تغسل آثار الحزن التي على وجهها مع آثار التجاعيد التي قد بدت تظهر عليه فأخرجت المرآة من حقيبتها وظلت تنظر يمينًا ويسارًا متحسسة آثار

الزمن ، متسائلة بهذه السرعة مرت السنوات رغم بطئها ورتابتها فها هو يوم ميلادي ويوم إكتئابي أيضًا، فهي تكره ذلك اليوم الذي يذكرها بمأساتها مع حبيب العمر الذي ضاع منها في لحظة كما ضاعت سنين عمرها هباء .

ليتها دامت أيام حبيب العمر الذي كان يحتضنها بدلاً من قسوة الحياة والبشر عليها....

تذكرت حبيبها يوم كان يجهز للاحتفال بعيد ميلادها واشتري لها ذلك الفستان الأحمر الذي طلبته وكان يحب أن ترتديه.. تذكرت تلك الليلة التي تعرض حبيبها لتلك الحادثة المؤلمة والتي بسببها باتت تكره العالم الخارجي، فقد أصبح يرعبها فكرة أن تحب مرة أخرى وتتعلق برجل خوفًا من أن تفقده وتصبح أسيرة للحزن مرة أخرى فهي تكره الوداع وتكره أن ترى من تحبهم يودعون الحياة بهذه السهولة ..

تذكرت عائلتها الصغيرة التي كانت تؤنس أيامها ، وذلك المنزل الذي كانت تملؤه الضحكات ، والبهجة الدائمة ..

تذكرت نظرات الناس التي لا ترحم وحدتها حتى الأن ولكنها لا تأبه لهم ولا تلق بالاً، فمن يحزن غيرها ؟ ومن يتألم غيرها ؟ ومن يشعر بالوحدة غيرها؟ .

فذلك العالم الخارجي الذي لم يرحمها ولم يرأف بحالها التي وصلت اليه ،حتى أقرب الناس لها رفضوا عيشتها وحيدة وظلوا يرمقونها بنظرات كادت تقتلها كل يوم وظلوا ينهرونها على عدم زواجها ، وأنها قد يفوتها قطار العمر.

وما إن توفى والداها ورحلا عن دنياها متحسرين على حالها حتى فتحت ذلك الباب الكبير الذي كانت تغلقه عليها حبيسة الجدران ، لكنها أغلقت عيناها بقوة على حبيبها الذي كان ،ولم تفتحها على أي طامع فيها من أشباه الرجال .

وقررت حينها أن تبدأ عالم مشرق مضيء يأتي كل يوم بحلم جديد إلا الحب !!

فتحت عيناها برؤيا جديدة وهى أن تصنع مستقبلها وتضع كل قوتها وتفكيرها بتطوير عملها تاركة أحزانها وذكرياتها والخوف الذي كان يعتريها دائما من مواجهة البشر ، حتى تأقلمت على الوضع .. ثم إستقرت على وجهتها وهى أن تعمل في الصحافة الى أن وصلت الى هذا المركز المرموق بهدوء دون إحداث أي ضجيج أو غيرة من زميلاتها ، فقد كانت محبوبة لهدوئها الذي كان يميزها عن غيرها ويثير إعجاب الزملاء بها، وعندما كانوا يقتربون منها أو يتوددون لها بعاطفة كانوا لا يروا الا العواصف والبراكين .

وفي يوم من الأيام كانت في مؤتمر صحفي وكان هناك رجال أعمال ومشهورين وأصحاب مراكز حساسة ومرموقة فجاء ناحيتها شاب جذاب ،أنيق المظهر ،حلو المنظر، ظل يرمقها ويختلس النظرات اليها ، ولكنها مشغولة بما تقوم به من تغطية للمؤتمر.

فظل الشاب ينظر اليها وكأنه رآها من قبل أو صادفها قبل ذلك فهي جميلة ، وممشوقة القوام ولها طابع الحسن في ذقنها يميزها ، وظل يتذكر أين لمحها من قبل ؟ .

ثم فجأة تذكرها فهي التي قابلها من قبل ،كانت مع لجنة التحكيم في مسابقة المواهب الشابة الذي يقام في كل شهر في ساقية

الصاوي والذى لم يحالفه الحظ أن يسألها عن إسمها في ذاك الوقت ولكنه لم يجعل الفرصة تضيع منه هذه المرة !!

فمنذ أن رآها وهى خطفت قلبه، وزلزلت كيانه ،ولكن حُزن عيناها رغم إبتسامتها الهادئة جعله يشعر بأن هناك لغز في حياتها .

فإنتظر حتى إنتهى المؤتمر وما إن همت بالخروج حتى لحقها بسرعة خشية من أن تتوه منه وسط الزحام .

فاستجمع شجاعته وإقترب منها يَعْرفها بنفسه ويطلب منها أن يتعارفا وأن يجلسا في مكان هادئ .

فنظرت له قابة الحاجبين ،فتلك أول مرة يُتكلم معها أحد بهذه الجرأة منذ سنوات تقريبًا أوأنه أول طلب صريح يَطلب منها مباشرةً !!

نظرت بتوتر وأومأت برأسها بالموافقة ..ثم تعجبت من نفسها !! فكيف لها أن توافق بهذا ، أو تسمح لنفسها أن تخرج مع شاب لا تعرفه من قبل بهذه السرعة ، فشكلها لا ينم على أنها من نوعية النساء اللاتي يقبلن الخروج مع رجال فهي تجاوزت الأربعون من عمرها وليست صغيرة على هذا...

وفجأة وجدها شاردة ،ثم تنحنح ليسألها بتلقائية:

وهل لكِ مكان محبب الى قلبك ِنذهب إليه ؟؟..

فنظرت إليه بنظرة حزينة وملأت الدموع مقلتيها لتنزل دمعة تلقائية من عيناها فرت من سجن جفونها الكحيلة ساخنة ، حاملة بعضًا مما يعتلي صدرها من هّم وحزْن .

تذكرت المكان الذي كان يجمعها بحبيبها .

فطلبت منه أن يذهبا اليه ، ولكنه متعجب من سر هذه الدمعة التي سقطت سهوًا منها . فشعر أنه إذا سألها سوف يعرضها للإحراج ، فظل صامتًا .

ثم ترجَلْ وإستقل سيارته ،وهى أيضًا إستقلت سيارتها متوجهان الى المكان المتفق عليه ليكملا التعارف

وما إن وصلا حتى أخذت حقيبتها وتوجهت الى ذلك المكان وعندما وطأت قدماها على بابه حتى ضاقت بها نفسها وخرجت منه مسرعة..

فهي منذ خمسة عشر عامًا لم تأتِ الى هذا المكان ،فخرج خلفها مسرعًا ذلك الوسيم الجريء ينادي عليها بأسف حتى إستجابت وتوقفت ..

قال لها أعتذر إن كنت ضايقتك ولكن الفضول يدفعني، ماذا بكِ فأنتِ التي حددتِ المكان .

فهل يذكرك بشيء ؟

فهزت رأسها متقبلة الإعتذاروتركته وهي تحس بألم يعتلي قلبها .

أسرعت بالذهاب لتركض هاربة إلى سيارتها حتى وصلت إلى المنزل ..

أغلقت الباب خلفها وصدرها يعلو ويهبط وأنفاسها المتقطعة تلاحقها كأنه كابوس .

.فهي لا تشتهي الحديث مع أحد حتى لا يقتحم وحدتها ويغزو أحزانها فهي تعلم أنها لن تسمح لقلبها أن يتعلق بأحد بعد حبيبها .

فلقد تعودت على وحدتها وصمتها الدائم فهو الآن أصبح لغتها الوحيدة التي لا تجيد غيرها...

وأيضا تعتبر أي تعارف لأي شخص هو خيانة لحبيبها الذى مازالت كلماته تتردد في آذانها ..

وفجأة همت مسرعة تجري الى المرآة وتتحسس وجهها الذى باتت عليه قسمات الزمن ،ثم نهضت لتعد ذلك الكوب الساخن من القهوة التي تنسيها بعض همومها والتي عادةً ما تحتسيه وهي تقرأ ثم همت الى مكتبتها المكدسة بالكتب والروايات والتقطت رواية ترمى فيها همومها وأحزانها وتهرب فيها من عالمها الخارجي..

فتلك القصص والروايات التي تعيش داخلها بكل تفاصيلها..!! ثم إستفاقت من روايتها التي تقرأها على أثر ذلك الصوت التي كانت قد نسيته منذ زمن ..إنه صوت جرس الباب على ما يبدو أن هناك شخصًا ما بالخارج يستدعيها للخروج!

فإتجهت لترى من العين السحرية ،فوجدت ذلك الشاب الذى كانت معه منذ قليل ..

فتعجبت ماذا أتى به الى بيتها وكيف عرفه ثم فتحت الباب بهدوء؟

.لتجده يقف أمامها ويعتذر على مجيئه دون إستئذان فقد قلق عليها وإضطر أن يمشى وراء سيارتها ليطمئن عليها.

وعندما وصل الى باب العمارة سأل الحارس عنها فأخبره بأنها تعيش بمفردها فتردد في الصعود اليها ، ولكنه وجد نفسه أمام شقتها ويدق الجرس .

أومأت هي برأسها وقالت له لا داعٍ للإعتذار فأنا بخير ، وإعتذرت هي على عدم إستضافتها له بالداخل وقبل أن تكمل إعتذارها قاطعها بألا تعتذر فهو يريد فقط الإطمئنان عليها فأجابته نعم أنا بخير . فأستأذن وهمّ بالمغادرة على أن يطمئن عليها مرة أخرى .

دخلت وأغلقت باب الشقة ، وأحست بشعور غريب يعتريها لأول مرة منذ رحيل حبيبها وزوجها الغالي متسائلة !!

من هذا الذي يريد أن يخترق أيامها ويغزو حياتها بدون إذنها .وهى التي أغلقت قلبها وأحكمت إغلاقه حتى هذا اليوم .

..ومرت الأيام ولم تعلم عن ذاك الشاب شيئًا ، وفى يوم من الأيام ،بينما هي قد نسيته أو تناسته ولم تعد تفكر فيه ، وجدته هو أمام باب العمارة في إنتظار عودتها من العمل وما إن رأى سيارتها حتى هّم بالاقتراب منها وهو يحمل بكلتا يديه باقة من الزهور الخلابة الرقيقة قائلاً بكل جرأة ..

أتسمحين لي بجولة معك اليوم ؟

أتسمحين أن أخطفك اليوم من ذلك الحزن الذى يكسو وجهك الجميل !؟

جحظت عيناها من الصدمة .فهي لم تمتص مفاجأة وجوده أمامها على باب الشقة في المرة السابقة ،والأن يأتي اليها مرة أخرى ويفاجئها بطلبه الغريب!

ظل واقفا متماسكًا برغم خوفه من أن ترفض طلبه ..

وتلك الإبتسامة الخلابة التي زادته وسامة على وسامته ..لم تستطع الرفض.

فهناك شيء يعتريها في داخلها يريدها أن تتحرر من تلك السجن

اللعين الذى يحيط بها. فأردف قائلا :أرجوكِ أنه أول طلب لي فقط وافقي ولن تندمي.

سنقضى بعض الوقت الجيد لا أكثروأعطي لنفسِك فرصة تريِ العالم بعيون جديدة ، فالحياة جميلة ويجب أن تعيشيها وتتمتعي بها ، هيا دعينا لا نضيع الوقت ولنذهب.

أومأت له بترقب لتركب سيارته هذه المرة وقدماها لا تقوي على أن تحملها ..

ركبت السيارة وهى شاردة ،أهو يرغب بمواعدتها حقًا أم أنه رآها صيدًا سهلًا فأراد أن يرمى بشباكه ليصطادها !!

هكذا كان ما يجول بخاطرها !

وبعد مشاورات بين عقلها وقلبها وجدت أنه يجب أن تترك العنان لنفسه

يومًا واحدًا فقط.

ثم نظرت لمرآة السيارة ،لترى بتعجب وجهها الذى باتت تنسى تفاصيله ووجدت نفسها تسدل شعرها الحريري برونقه الرائع دون تكلف أو خجل من ذلك الشاب الذى لا تعرفه وكأن شيْ بداخلها يريد أن يتحرر فهذه هي المرة الاولى التي تخرج فيها مع شاب .

ثم نظر اليها الشاب بعد أن أسدلت شعرها الحريري نظرة إعجاب ولا يصدق ما رآه محدثًا نفسه أيعقل أن تكون بكل ذلك الجمال الخلاب...!!؟

إنها حقاً ملكة للجمال فلقد تحولت من كتلة حزن الى نجمة مضيئة لمجرد أن أسدلت شعرها فماذا بها اذا وضعت تلك المساحيق

التي تضعها النساء على وجهها !!
ثم أحست هي بنظراته الثاقبة فقالت:
والى أين سنذهب!..
فقد جعلته يستفيق من هيامه بها قائلًا:
سآخذك للعشاء ونجلس قليلاً على ضفاف النيل ..وحقًا أريد أن أتعرف عليكِ أكثر. وأكتشف غموضك .
ترددت للحظات قائلة:
أرجوك لا أريد التحدث عن نفسي..
فقط دعنا نمضي بعض الوقت سويًا وأتمنى أن تنساني بعد ذلك اليوم ..
تألم لكلماتها ولكنه عذرها فلأول مرة يجتاح أحدًا عالمها الغامض !.
لم يبدِ رأيه على كلامها فقد سمع لها وأراد أن تخرج ما بداخلها حتى تتحرر أولاً من ذلك السجن المظلم ثم يحدث ما يريده الله فيما بعد..
ثم ظلا صامتين للحظة وفي وسط نظراتها الخائفة المتعجبة من عيون الناس ،
وقال لها :
حقاً من يراك الآن كأنه يرى طفلًا صغيرًا لم يسبق له رؤية العالم من قبل ..
قال أتدرين ؟ أنت كالبحر،،
نظرت مسرعة له مستغربة ! ولما البحر!
إبتسم وهو ينظر لعيناها أنت من خارجك هادئة صامتة ينعم برؤيتك الجميع .
ولكن.. بداخلك حياة لا يعلمها أحد ..

بداخلك أمواج متلاطمة ..حياة مشوشة.. تتمنين أن تبوحي بما يجول بخاطرك ولكن تخافين أن يحدث إعصارًا لا تستطيعي أن تتحكمي به وبمشاعرك ، لذلك تفضلين الصمت والكتمان.

صمتت وهي تتمعن في كلماته ثم توقفا في إشارة المرور ومر عليهما بائع الفل ليبتاع منه كل ما لديه من فُل ، لتراه يغير مجرى حديثه قائلًا .. ألا ترين !!هذا كله لكِ، أخذته منه بإبتسامة وإمتنان قائلة أنت أتيت لي بالورود منذ دقائق والآن تشترى كل هذا الفل !! ..

فتلك المرة الأولى أن يبتاع لها أحدًا زهورًا بتلك الرقة والرائحة الذكية كهذه ..

ثم وصلا للمكان الذى كان قد حجزه ، ولكن هذه المرة هو الذى إختار المكان ..

أزاح الكرسي لتجلس هي برقة ثم أتجه أمامها يجلس هو الأخر.... مرت ساعات قد تناولا الطعام والأحاديث قد فُتحت ، وعلم منها أنها كانت متزوجة من قبل ولكن لم يتم هذا الزواج .

فقد توفى زوجها وحبيبها في حادث وكان ذلك يوم ميلادها عندما إشترى لها فستان أحمر كانت تريده، وصممت أن يشتريه لها لترتديه في الحفل ، فكم كانت تحب هذا اللون وكم هو عشقها فيه ،ثم وهو خارج من المحل صدمته سيارة مسرعة يركبها شاب أحمق، وهرب دون أن ينقذه ولم يتبقَ لها الا هذا الفستان الأحمر الذى دائمًا ما يذكرها بهذا اليوم المشئوم والذى على أثره أغلقت الحياة عليها وباتت هي وعزلتها رفيقان .

فظل يسمعها بإمعان فهو يريدها أن تُخرج بركان السنين وتفرغ ما بداخلها من حزن وألم .

ثم عمْ الصمت بالمكان مرة أخرى ووجدها شاردة والدموع تملأ عينيها ، فمد يده ومسح دموعها وقال لها :

أرجوكِ لا دموع بعد اليوم فأنتِ معي ولم أسمح لكِ أن تبكى مرة أخرى ،كفاها عيناكِ الجميلتين بكاءً فأنا أعشق عيناكِ التي أذابتني عشقاً.

فهل لي ان أكن بجوارك اكثر؟..

ثم أمسك يدها مُقبلاً ، وعيناه تبوح بأكثر من شفتاه قائلاً وبتوتر وهو يهيم بعينيها أنى أحبك ولا أدري ماذا فعلتِ بى ؟؟

وأُريدك أن تكوني سعيدة معي ،ونكمل مشوار حياتنا معًا فأنا لم أعد أقوى على البعد عنك ، ثم وضع يده بجيبه وأخرج علبة صغيرة وقدمها لها ونظر بعينيها قائلا : تتزوجيني ؟؟؟

فنظرت اليه قائلة:

ابهذه السرعة تطلبنى للزواج ؟

فرد بسرعة قائلًا: نعم

وكأنه كان يعلم بماذا ستجيب على طلبه.

فقالت : فلتعطني فرصة أتخلص من نفسى القديمة التي تحمل غبار الزمن حتى لا أظلمك معي .

فرد قائلاً : سنتخلص منها معًا فأنا لن أتركك معها بمفردك ولا دقيقة واحدة بعد اليوم :

وقال: ألا تسمحى لى بإصبعك حتى يتسنى لى أن ألبسك خاتم إتقافنا على مقاسمة الحياة بيننا

فتبسمت قائلة : ألا يكفيك مفاجآت اليوم ؟، ثم فتح العلبة واذا بها خاتم من الماس رقيق المنظر فضحكت قائلة : بهذه السرعة ؟؟

فتبسم لها وسرح في عينيها وألبسها الخاتم فضحكت ، وكم أحَب ضحكتها التي هو سبب فيها .

وكم هي رغبت أن لا يمر الوقت .

ثم نظرت له بإبتسامة هادئة، والعيون تملؤها فرحة لم تشعر بها منذ وفاة زوجها وحبيب عمرها ، قائلة :

يبدو أن الله أراد أن يكافئني ويعوضني فرزقني بك .

ثم طلبت منه أن يسيرا على كورنيش النيل حتى تشْتَم نسيم الحرية بعد أن كانت حبيسة للذكريات المؤلمة .

لبي طلبها في الحال ،فهو كان قد وعدها أن يسيرا معًا على النيل ثم أمسك بيدها وهمّا بالخروج فهي الأن لا تأبه نظرات الناس .

حتى جلسوا على الكورنيش وبدأ يعرفها بنفسه وبعمله فهو يعمل عازف كونشيرتو في أكبر فرقة تجوب العالم ومن عائلة محترمة وعمره يقرب من الخامسة والثلاثون ،ولديه ما يؤهله لأن يفتح بيت .

فما أن سمعت هي هذه التفاصيل حتى حل الصمت على المكان فسألها لِما كل هذا الصمت والشرود ؟

فقالت له أنها أتمت الأربعين منذ بضعة أسابيع فهي أكبر منه سنًا ولا تناسبه .

ضحك ضحكة عالية وقال لها هل مازال أحد يفكر بمثل هذا المنطق يا حبيبتي

تعجبت هي من كلمة حبيبتي فهذه هي المرة الأولى تسمع هذه الكلمة منذ سنوات ،فقال لها العمر يقاس بالحب واللحظات الحلوة لا بالسنون يا حبيبتي .

فأنا الأن أتمنى من الله أن أستطيع إسعادك وتعويضك عما ألمّ بكِ .

فرحت بهذه المشاعر الفياضة وتأبطت ذراعه كما لو كان منقذها الذي أرسله لها القدر.

ثم طلبت منه أن يغادرا ، فقد تأخر الوقت، وأرادت أن تعود الى منزلها .

فما زالت تخشى كلام الناس.

فلبىّ لها طلبها على وعد أن يعوضا ما فات سويًا ،ولا وقت للحزن أمامهم، ولم يعد الا الفرح فقط .

أومأت برأسها بالموافقة مع إبتسامة رقيقة أظهرت طابع الحسن الذي بأسفل ذقنها

ركبا السيارة وأدار المذياع وكانت أغنية لأم كلثوم "انت عمرى "

فتبسما الإثنان .

حتى وصلا الى المنزل ورافقها على باب العمارة وإطمئن على دخولها الشقة ونظرت له من الشرفة مودعة إياه .

ثم همت مسرعة الي دولاب الملابس وأخرجت الفستان الأحمر ونظرت اليه نظرة وداع ثم وضعته بكيس أسود بسواد الأيام التي حبست نفسها بها والقته بصندوق القمامة،

وكأنها أرادت مع أول يوم في حبها أن تتخلص من ذكرياتها التي ظلت حبيسة لها سنوات عمرها الماضي.

لتبدأ من جديد حياة مليئة بالحب مع من أحبها وأصدق في حبه لها ...

****

زخات المطر

رأيت هذا المشهد الذى لازال عالقًا بمخيلتى..
كان الجو شتاءًا والمطريتراقص على رؤوسهم ، رجل وإمرأة عاشقان تخطيا السبعون عامًا ، غادرا للتو دار الأوبرا متشابكين الأصابع يمشيان بخطى واثقة ، تعرف تمامًا ماينتظرها آخر الطريق ،إكتست نظرتهما نشوة التمتع بالمنظر كأنهما أطفالًا صغارًا.
كانا لايزالا يعيشان فى القصة التى شاهداها بدار الأوبرا ومع جو الشتاء الجميل إكتملت الأحاسيس .
مال كل منهما على أُذن الآخر تهامسا ، تغامزا ، ضحكا بصوتٍ عالٍ، تلون وجهيهما بإحمرار شفاف دافىء بدِفء سنوات عمريهما.
زخات المطر تنهمر برفق عليهما ، غسلت هموم السنون ،كما غسلت الشوارع والأرصفة والسيارات والبشر القليلين الذين بالجوار فوق الطرقات متخفيين فى المعطف الذى يتلفحون به ..
لم ينزعج العجوزان اللذين لم يحتميا بمظلة ، على العكس كانا فرحين حيث فردا كل منهما كفيه لإستقبال حبات المطر المنهمر كطفلين يجمعان الماء فى يديهما .
نسمة باردة داعبت وجنتيهما المجعدتين ، إرتجفا جسدهما الواهن فضغطا على أكف بعضهما أكثر وأكثر حتى يسرى الدفء بكل منهما .
وعندما إشتدت حبات المطر وإزداد كثافة ، خلع العجوز سترته التى تحميه ليغطى بها عجوزه الرقيقة ثم أوقف سيارة ، وفتح بابها الخلفى وأشار الى محبوبته رفيقة الزمان قبل أن يأخذ مكانه بجوارها .

الطريق مزدحم والسيارات تقف مصطفة والإشارة لم تفتح بعد .
جلست العجوز بجوار النافذة تتفقد المطر وهو يضرب برفق زجاج السيارة ،
وظلت تكتب على الزجاج نتيجة أبخرة الأنفاس التى تصعد من زفيرهما وكأنها طفلة صغيرة .
"أحبك ياحب عمرى " هكذا توجت لحظة من عمرها بهذه العبارة .
لا أعلم لماذا شردت فى تلك اللحظة التى شاهدت فيها العجوز تكتب على الزجاج !!
تذكرت طفولتى الجميلة التى مرت أمامى كشريط سنيمائى فقد كنت أفعل مثما تفعل هذه العجوز وكم كانت سعادتى عندما كنت أعود الى المنزل متسخة قدماى بالطين من آثار المطر وثيابى المبللة وكانت تأخدنى أمى فى حضنها لتدفئنى .
ماأجملها ذكريات !!
صوت آلة التنبيه أزعجتنى والسيارات فى سباق وتحرك العجوزان أمامى وأنا أقود سيارتى ولكن عينى لاتفارقهما .
لاأعرف كم مضى على زواجهما!!
أتخيل أنه العمر بطوله وعلى مدار هذا العمر كانت هناك أشياء كثيرة بينهما لن تتوقف عند الحب فقط .
فالحب لايعود إعلانًا ظاهرًا وفعلًا نمارسه فى مؤسسة الزواج التى يسهل أن نقع فى فخ العادية أكثر من أى مؤسسة إجتماعية أخرى ، والتي مايطلق عليها العِشرة من باب تجميل الكلمة وتجريدها من إيحاءات الضجر.

نعم قد يكون هناك ضجرًا ورتابة وفتور..
هذا مايمر به أى زواج فى العالم ، وأما أننا نحافظ على مشاعرنا معتدلة كمثل هذين العجوزين ..
أعتقد أنها الألفة التى تجعلنا نحتمل وجود الآخر الملاصق لنا أو نصفنا الآخر إن صح التعبير ، ولا نستطع العيش بدونه أو على الأرجح حياتنا هى التى لاتستقيم .
فالألفة المحببة لجعلنا كأزواج نتعايش مع زفرات عرق أجسادنا .
نعتاد شخير الكائن الآخر الملازم لحياتنا نتعامى عن الشعر المنكوش والعيون المدعمسة والخلقة التى لاتسر عند النهوض من السرير.
تجعلنا نلملم جوارب الزوج الملقاه فى كل مكان دون إعتراض يذكر بغض النظر عن حال الزوجة التى لاتكل ولا تمل من الشكوى ولا أحد يشعر بها ..
إنها الألفة التى يحظى بها هذين العجوزين والتي بالتوازى تأخذ من قوتنا وعزيمتنا وحريتنا وخصوصيتنا ..
هذه هى الحياة التى تستلزم لتحقيقها رجل وإمرأة يعيشان طول العمر.
وهكذا مع ألفة العمر الطويل لن يكون غريبًا أن نصطحب كزوجين شيخوختنا معنا ذات يوم فى نزهة ليلية رومانسية تحت زخات المطر نتذكر فيها أيام الحب الذى كان ومازال ...
وفجأة زاغ عن بصرى هذين العجوزين متمتعين بأجمل لحظاتهم غير عابئين بآلة العمر أن تتوقف عن الدوران .

****

رسائل الله

عائلتى صغيرة، وبسيطة جدًا . إنتقلنا للعيش من منطقة شعبية الى منطقة راقية جدًا ،وهذا بين ليلة وضحاها .

عندما باع والدى قطعة الأرض التي ورثها عن والده ، وبعد إنتقالنا كنت وقتها في المرحلة الإعدادية وكان لي جار أسمه أيمن كنا ندرس معًا، فكانت دائمًا المقارنة بيننا فى التحصيل الدراسي .

فرغم مكوثى على المذاكرة وقتًا طويلًا الا أني لم أحصل على درجات عالية ، أما صديقى أيمن كان تقريبًا من أوائل الصف..

عندما إنتقلت الى المرحلة الثانوية أيضًا تحصيلي في الدرجات كان لابأس به وسط إندهاش أساتذتي لهذا.

وكانت علامات الدهشة هذه تثير حفيظتى ، فإما أنى غبي أو أي شيء آخر نظرًا لاني كنت أتجاوب معهم في المحاضرة ولكن لاأعلم سبب انخفاض درجاتي هكذا. ..

وظهرت نتيجة المرحلة الثانوية وبعد التنسيق وقع حظي في كلية شعبية هي دائمًا للعامة وليست من كليات القمة.

فحمدت الله وبدأت الدراسة وكالعادة كنت أتجاوب مع أساتذتي وأتحصل فى الدرجات على التقدير الشعبى.

في هذا التوقيت أحببت نهى زميلتي فى نفس الصف وكانت تبادلني نفس الشعور فكنا نذاكر بين المحاضرات ونجهز للمحاضرة القادمة .

وتعاهدنا أن أتقدم لخطبتها في العام الثالث للكلية حتى يتبقي عام واحد وهو عام التخرج وبعدها يتم عقد القران.

ثم يشاء القدر أن أرسب فى العام الثاني للجامعة وهى تنجح برغم أني كنت أذاكر لها ولزملائنا .

لكنى حمدت الله على كل شيء وأنتهزت عام الرسوب هذا وخاصة أنه أربع مواد فقط ، وبحثت عن عمل حتى لاأضيع وقت فى عام بأكمله، وكانت حبيبتي نهى تشجعنى على هذا ، وأيضًا صاحب العمل كان يطلق علىّ المجتهد وجمعت مبلغ لابأس به لزوم الشبكة ومصاريفي فى هذا اليوم.

وبعد الإعادة لعام الرسوب نجحت وأيضًا العام الذى تلاه .

وانتقلت للعام الثالث ولكني إستمريت في العمل خاصة أنني حققت فيه نجاح ملحوظ وخشيت أن أخسره .

وبعد تحصيلي للعام الثالث كانت حبيبتي فى العام الرابع والسنة النهائية فى الكلية ..

فتقدمت لها حسب إتفاقنا ووفيت بوعدي معها ولكن والداها رفضوا تمامًا بحجة أني في الجامعة مازلت أدرس .

أما هى فسوف تتخرج بعد أيام ولايجوز أن تنتظرنى وخاصة أني مازال لدي فترة تجنيد لابد من تأديتها .

فتحطمت نفسيتي بعد فشلي فى إقناع والداها وكدت أبكى على حلمي الذى إنهاروأنهارت معه كل أحلامي.

ولكن عندما تحدثت مع صديقي وجاري أيمن على مادار بيني وبين والدا نهى ، وجدته أخذني من يدي وقال لي انظر الى هذه المرآة فقلت له مالسبب وماذا أري!!

قال لي أُنظر فقط ولا تتحدث !!

فنظرت فقال لي ماذا ترى؟

فقلت لاأرى شيء إلا أنا !!
فقال ترى نفسك كاملاً أم ينقصك عضو من جسدك ؟
فتعجبت من كلامه فقلت لا أنى أراني كاملًا..
فقال :إحمد الله على ماأنت فيه فهذه الزيجة لم تنقصك شيء فأنت كما أنت بل أنت لاترى ماذا يخبيء الله لك ولعله خيرًا إن شاء الله..
ثم إصطحبنى معه لحضور درس علم ، وعندما ذهبت معه إنشرحت أساريرى وقررت أن أحضر معه كل مرة .
فكم كان كلامه معى مريح لدرجة ماكنت أحسبها
ونظمت وقتى بين الدراسة فى الجامعة ودروس العلم والعمل فى وظيفتى التى أنجزت فيها شوطًا كبيرًا وأصبح لي عملاء يطلبونني بالإسم.
وأثناء دراستى ف العام الأخير من الجامعة أتت حبيبتى السابقة نهى والتي منذ رفض أهلها لى قد قطعت كل صلتي بها حتى إشعار آخر..
وسملت علىّ وعلى كل أصدقائنا والقت القنبلة فى وجهي أمام الجميع ..
ألم تبارك لى يا أسامة؟
لقد تمت خطبتى والزواج الشهر القادم إن شاء الله.
فلا أعلم بماذا أجبت ولا أتذكر هل هنأنتها أم واسيت نفسي .
كل ماأتذكره أنى دعوت لها ولنا بعمل الصالح..
وأنصرفت ولاأعلم كيف ثبتنى الله بعد كلامها هذا وكأنها يثير غيرتى ، فلم يكن الذى كان بيننا حب أكيد .
ودعوت الله أن يوفقنى فى عملى الذى أحبه وأتقنه.
ولأجل المصادفة كان عندى مقابلة مع عميلة فى منزلها اليوم ...

وفى أثناء حضورى لدروس العلم وعملى أيضًا كنت أحب أن أمزج بينهما فى تعاملاتى مع العملاء.

وان أتسلح بالحديث العلمى فى شرح عملي معهم .

وكنت أنصح كل زميلاتى فى العمل أن يتسترن بالحجاب .

منهم من كانت تستجيب ومنهم من كانت ترى أنه لم يحن الوقت بعد..

وعندما حان موعد لقائي مع العميلة الذي كان بمنزلها بعد أن أخذت موعد للمقابلة حيث كانت المقابلة تتطلب شرح عملى .

فعندما ذهبت عندها بالمنزل وإستقبلتنى وقدمت لي مشروبًا كنت في هذا الوقت أحدثها في دروس العلم التى أتلقاها فأعجبت بى كثيرًا وقالت لي أنها يأست كثيرًا من أن تقنع إبنتها بإرتداء الحجاب رغم أنها ملتزمة بالفروض كافة.

وطلبت مني بعد أن رأت فى وجهى الصلاح كما ذكرت أن أصطحب ابنتها الي دروس العلم لعل وعسي يكرمها الله بالإلتزام...

فوافقت دون تردد.

وحينها إستدعت إبنتها من الداخل لتعرفها بي وأيضًا تحضر شرح المقابلة التى أتيت من أجلها.

.فأتت الفتاة فوجدتها تبارك الله فيما خلق ..آية من آيات الجمال .

فعرفتني والدتها أنها "هبة الله" فقلت تبارك الله فى هبته.

فردت والدتها وقالت أستاذ أسامة يحضر دروس عِلم للشيخ فلان الذى تحبين الإستماع اليه فقلت مارأيك ياانسة هبة أن تحضري معنا هذه الدروس ؟

فردت على إستحياء بالموافقة ..

ثم تحدثنا بعدها فيما جئت اليه وأتممنا التعاقد وانصرفت على أنى سوف أنتظرها فى الدرس القادم .

وبالفعل أتت لدرس العلم وكانت المفاجأة أنها تحجبت .

يالله عالجمال فكم إنشرحت أساريرى وفرحت فرحًا كما لو كنت أعرفها من عقود مضت أو كأنها فردًا من عائلتي .

فباركت لها هذه الخطوة فقالت لي الحمد لله كل شيء بأوان فأنا عملت إستخارة ليلة وجودك عندنا ودعوت الله أن يريني خيرًا فى هذه الخطوة ، فوجدتني في الصباح أنهض من فراشي على دولاب والدتي لأختار منه طرحة أحضربها الدرس وقررت أن لا أنزعها أبدًا.

فعندما أرتديتها شعرت بقلبي يزداد في دقاته فرحًا وخجلًا أيًضا من الله على تأخر هذه الخطوة.

.سبحان الله الذى يُغير ولايتغير.

كنت أستمع اليها وكأني أستمع الي موعظة حسنة أو درس من دروس العلم فقلت لها أنها حكمة الله تأتي فى موعدها دون تأخير، ولولا حب الله لك ماكان هداكِ لهذه الخطوه فمن أحبه الله هداه..

ثم بعد هذا الحوار ذهبنا للاستماع لدرس اليوم وكم كانت سعيدة وفرحة ووجهها متبسم .

ثم بعدها آتاني عمل كبير فى مكان أكبر من ذى قبل وبراتب شهري ثلاث أضعاف ماكنت أتحصل عليه ..

فطلبت يدها من والدتها فرحبت ترحاب شديد وقالت لي كنت أتمناك إبني من لحظة التقائي بك .

وقد حقق الله لي هذه الأمنية وزوج إبنتى هو ابني..

حقيقة أذكرها لقد دخلت هذه الأسرة قلبي منذ رأيتها أنا أيضًا..

وتمت الخطبة على خير مايرام أنا وأهلي وهي
ووالدتها وخالها وأبناء خالها ..
أي كانت الخطبة عائلية فقط..
ولم يمر سوي أسبوع على خطبتنا وحدث مالايحمد عقباه ، فقد تم إستدعائي لتأدية الخدمة العسكرية ..
ياالله!!
لماذا في هذا الوقت بالذات وقد كنت رتبت عملي الجديد وشريكة عمري وكل شيء .
وكنت قد وعدتها أن زواجنا سيتم فى خلال أشهر قبل إنتهاء العام ..
لماذا هذا الآن ؟
ثم سلمت أمري الي الله ومافيه الخير يكون..
بعد مرور ستة أيام وعلي غير العادة طلب منا ظابط الفرقة أن نمشي أمامه دون حذاء ولا أعلم لماذا؟
ففعلنا وهو جالس على الكرسي ينظر الينا بتدقيق شديد حتى جاء دوري ومشيت أمامه وإذا به ينهض من مقعده وبصوت عال تعالي هنا ياعسكرى ، فالشهادة لله أنا قلبي إزدادت دقاته ولا أعلم لماذا ..
فضربت تعظيم سلام وقلت تمام يافندم ..
فقال لي أرني كف قدميك فأريته كف قدماي فصرخ وقال:
أنت عندك فلات فوت ياعسكرى ازاى جيت هنا ؟
فى الحقيقة كان زملائي في الجامعة أخذوا إعفاء، ولكن نظرًا لانى رسبت سنة وتخلفت عنهم كان نصيبي التجنيد ..
كل هذا أحكيه للظابط فقال لي البس هدومك ياعسكرى وتعالى بسرعة ..

في التو واللحظة إرتديت ملابسي ولا أعلم ماذا سيصير لي حتي ولو مجرد تخمين ..
فى هذا الجيش لا للتوقعات.
. إرتديت ملابسي وضربت تعظيم سلام وأعطاني خطاب للوحدة الطبية للكشف الدقيق عليّ ومكتوب فيه أنه أثناء تدريبي تم إكتشاف عيب خلقي لايصلح مع التدريبات الشاقة ، وهنا أدركت أنى قد أخرج من الجيش أو أن يُنسب لي عمل مكتبي لا أعلم ولن أتوقع .
وبالفعل تم عرضي علي القومسيون الطبي وتم إعفائى من الخدمة العسكرية نهائيًا.
رجعت بعدها الي حياتي وخطيبتي وحبي الحقيقي وهدية ربي لى
أنا لاأعلم كل مامررت به من محنة عدم تحصيلي علي درجات عالية، ودخولى كلية شعبية غير طموحي و حبيبتي الاولي ورفض أهلها لي وعملي الجديد، ودروس الدعوة ولقائي بالأسرة الجميلة هذه، وأكون سبب فى التزام خطيبتي والخدمة العسكرية التى جاءت على غير أوان وخروجي منها دون أدنى توقع ..
كل هذه المِحنْ تحولت الي منح بقدر الله ورسائل ربانية
.وبعد هدايا الله هذه أستأنفت عملي من جديد ووفيت بوعدي لخطيبتي بعد إكتمال فترة الخطوبة المحددة والتي كانت من أجمل الفترات التي مررت بها في حياتي وأخيرًا تَّوجت هذه الفترة بالزواج بحبيبة العمر "هبة الله" التي هي هبة الله لي فى الدنيا .
وإن شاء الله يجمعني بها في الجنة بإذن الله
والحمد لله انجبنا ثلاث أبناء.. رويدا، وعمر ،وسليم ...

جميعهم الآن بالمراحل التعليمية المختلفة ، ومن حفظة القرآن وذلك كله بفضل الله، ثم بفضل هبة الرحمن هديتي من الله وزوجتي الحبيبة وشريكة عمري أدامها الله وأعزها وحفظها هي وأولادي وهو خير الحافظين

****

ابن مــوت

كلنا نسمع عن العشق من أول نظرة ، ونتساءل هل هو حقيقة أم محض خيال ، كنت ممن يقول أن الحب يأتي بالمعايشة وبالتآلف ، ولكني كنت مخطئة، نعم أُقر إني كنت مخطئة ، فالحب موجود لأني وقعت به ، لأني أحسست به ، لأنه جعلني أسهر الليالي ، لأنه جعلني أذرف الدمع حزنًا عليه،

لأن عيني الآن تدمع ،بل تبكى دمًا ، لأن صدري يكاد يتقطع عليه ، موجود لأنني أبكي... عندما أتذكر حبيبى الذى عشقته من أول نظرة قبل أن يولد، وأنا بإنتظاره حتى حان موعد مجيئه . فعافر حتى حرج للحياة دونًا عن باقي إخوته الذين ماتوا فور خروجهم للحياة .

حبيبي ولد على يدى، تلقفته من أمه فور خروجه للحياة، فقد كان يصارع الموت ، يريد أن يحيا ، أطعمته بيدي مساعدة لأمه فقد كان رزقه قليل ، كان يبكى كلما لم تستطع أمه إرضاعه ، كانت تنادى عليّ كي أطعمه بدلًا منها .حتى أتم يومه العاشر فتركته لي، وكأنى أنا الأم البديلة فصارت تجُول في أرجاء المنزل ،وتلعب هنا وهناك تاركة إياه لي فقط ،كانت تنام بجواره وكان لا يُطعم الا من يدى ،حتى اشتد عوده وبدأ في الاطعام مع أمه بنفسه ، فكان يكبر يوم بعد يوم أمام عيني، ولا ينام الا بحضني، وكأنى أنا من ولدته وأسميته ، فكنت أناديه بإسمه منذ اليوم الأول

لولادته، فأصبح إسمه يُردد بأرجاء المنزل كعزف على الأوتار ، وكأنه سيمفونية جميلة تَّسر لها النفس والأُذن عند سماعه.

حتى كبر وترعرع وإشتد عودة وأصبح فرد من أفراد الأسرة ، يحنو على الجميع ،ويمسح بيده الصغيرة دموعنا ، ويفرح معنا فهو سبب فرحتنا ...

عندما نصحو من النوم... كانت يده الصغيرة هي التي تربت على جبيني لكي أنهض و أطعمه ، وعندما كنت أغط فى النوم غير مبالية لندائه!

كان يصول ويجول في الغرفة محدثًا ضجة حتي أصحو ، فهو يعلم أنى كنت أضيق من تصرفاته ، فقد كان يعلم ما يفرحني، وما يغضبني، فهو شعلة ذكاء ، ومصدر للمرح والسعادة. ....

لكن كانت تراودني دائما فكرة أنه غير مخلوقات الله . كان لدىّ شعور دائم بأنه سيحدث له مكروه فشقاوته كانت تفوق الوصف، كان لا يبالي المرتفعات فيظل يفكر كيف يصعد لأعلى شيء في البيت.

وبالفعل ينفذ ما يفكر به .

حقًا" ابن موت "... ..

عبارة كنت طيلة حياتي لا أصدقها أو بالمعنى الأصح ماكنت أفهمها، ولكن كل حركاته كانت تقول أنه إبن موت صحيح ،

من شقاوته وكل حركاته ولعبه وخفة دمه وحبه الكبير لكل من بالمنزل ، والقبلة التي كان يجرى كي يصالحني بها عندما كان يفعل شيء خاطىء ،

وخاصة عندما أصحو من النوم أجده يعبث بدولاب المطبخ
مبعثرًا كل ما به على بعضه،
وكأنه سيطهو لنا أكلة اليوم...
فالعدس على الارز على السكر كله على بعضه.
وعندما يشعر بقدومي كان يجرى مختبئًا ويراقبني من بعيد ،
اذا غضبت سيظل مختبئًا،
واذا رأى وجهى لايدل على الغضب يظهر ويعبث مرة إخرى،
وكأن لسان حاله يقول: ماما طيبة...

ثم يطبع قبلة على جبينى الى أن أبعده عن المكان
فيمشى يبحث عن شىء آخر يعبث به .
فقد كان أيضًا عندما يرتكب خطأ وانا أغط في النوم ،
كان بعد أن ينتهى منه يأتى الى حضني لينام،
ويقبلني كأنه يعتذر عما بدر منه،
وأيضًا كي يقول لي ليس هو من صنع الخطأ ...
كان يفهمني من نظرة عيني عندما أكون غاضبة منه أو حزينة أو سعيدة.
عندما كنت أقول له كف عن هذا كان ينفذ دون أى كلمة ،
سبحان الله رغم شقاوته كانت طاعته
كان حنانه يفوق البشر،
ووفائه لم أره من قبل ..
ولما اشتد عوده وأصبح شابًا جميلًا.. كنت أفكر بزواجه فقد بدأ يلمح لى بهذا الطلب،

وكان يقبل يدى كل يوم، وكأنه يسترضينى لكى أوافق على زواجه ،
كنت أرتب له بمن يستزوج ، فلابد أن تكون العروس بسبوسة
جميلة في مثل جماله وأكثر
حتى تأتي أحفادى جميلات مثله .
ولكن لم يمهله القدر ليتزوج وأفرح بعائلته.
سبحان الله ..مخطىء من يقول أن القطط غدارة.
للأسف هى تدافع عن نفسها عندما تشعر بالغدر من الإنسان .
فأكثر شيء كان يمكن أن يفعله وهو غضبان أنه يعض بحنان.
ذلك عندما كنت أقص له أظافره وكأنه لايريد أن يؤلمني ،
لدرجة أنها أصبحت عادة لذيذة لدينا بأن يقوم بعضِنا ، لشعورنا
بالحنان في هذه العضّة .
سبحانك يالله..
جعلت حب كوكى الغالى في قلوبنا كبيرًا جدًا ،لكي تكوينا بنار فراقه،
ومستخيل ننساك ياإبن العائلة وصديقها الوفى ..رحمك الله
ياصغيرى ..

****

التنورة الزرقاء

إنقضى العام العاشر من زواجنا وها أنا أحضر كعكة الإحتفال، لعل زوجي يحتفل معي بمفردنا هذا العام دون عزول ينغص علينا ماهو آت ، كما في العام السابق وكل الأعوام السابقة.

حماتي المصون التى لم تنسَ حتى الآن أنني خاطفة لإبنها الحيلة ، والتي لاتزال تظهر ذلك دون مواربة ، دون أن تعلن مباشرةً نقمتها على تصاريف الأقدار العجيبة التي ألقتني في طريق إبنها ، وهي تمصمص شفاها وهزة لرأسها يمينًا وشمالًا متفحصة خلقتي من رأسي حتي قدماي على رأي "العندليب" علها تجد شيئًا يسرها فىّ. فأنا التي خطفت منها زهرة أولادها "أى زوجي المصون" دون وجه حق . هذا ما دائمًا تراه من وجهة نظرها .

وتظل تتملقنى بنظراتها الدالة المعبرة التي تعكس خيبة أمل وحسرة فى أن إبنها كان يستحق من هي أجمل مني وأفضل مني ، بمعني أدق ست الستات .

وبدون سابق إإنذار تظل تحكي عن رجال وشباب العائلة المصونة وتسرد روايات وحكايات دون داعي عن الذين تزوجوا بفتيات ليس لهن مثيلًا في الكون ، وياحسرتاه على إبنها الذي كانت فتيات العائلة يرمحن ورائه وكان يتدلل عليهن ، ولكن بعد كل هذا يرمي بنفسه تحت عجلات القطار منتحرًا بحبي القاتل .

كل هذا وأنا فى صمت تام ...

فها هوزوجي قد حان موعد عودته وقد طرق الباب، فهرعت اليه وفتحت له ذراعي وحضنني الحضن الدافيء الذى أرتمي فيه كالطفلة التى تجد الدنيا براح فى حضن أبيها . وطوّق عليه بكلتا يديه . ويطلب مني أن أغمض عيني ففعلت ..فإذا به يحمل بيده الأخرى أجمل ورود كان يخبئها وراء ظهره.

يالها من رائحة وألوان بديعة . فهو يعلم أني أعشق الورود . ثم يفاجئي مرة أخرى بعلبة قد أخرجها من وسط الورود ليطلب مني فتحها ، واذا بخاتم من الماس لم أرَ بجماله من قبل . فذرفت عيناي الدمع ولكنها دموع تعبر عن حبي لزوجي الذى دائما مايحاول أن يسعدني ويراني فرحة .

يالله ... يالها من أحلام يقظة !!

مازلت أحلم هذا الحلم الذى بات يلازمني كل عام ، وأنا أتخيل تلك اللحظة التى أتمنى أن أعيشها ولو مرة واحدة ثم أغفو غفوة أبدية .

ها أنا الآن سوف أستعد لقرب موعد قدوم زوجي من عمله. سوف أرتدي التنورة الزرقاء التي إشتراها لي منذ فترة عندما كنا فى أحد المولات ولكنني لم أرتديها حتى الأن لسبب ما، وهو عندما رأتها حماتي وقرأت ثمنها ، ظلت توبخ زوجي .

فكيف يشتري لي تنورة باهظة الثمن هكذا ، وأنها لم توائمني ولا تليق علىّ.

وظلت ساعات توبخ فى إبنها وأنا لاأنبث ببنت شفه.

ومن ذاك اليوم ولم تلامس جسدي هذه التنورة .

ولكن اليوم هو عيد زواجنا وسوف نحتفل سويًا وسأرتديها مهما حدث .

فلابد أن أحطم حاجز الخوف الذي يتملكنى كلما أراها وأتذكر هذا اليوم .

تزينت على أكمل وجه وأطلقت لشعري العنان ليهفوا على مناكبي . وأرتديت التنورة الزرقاء وعليها بلوزة دانتيل بيضاء.

وزينت عنقي بكوليه عقيق فيروزي مطعم بحبات من الكريستال ، ووضعت البرفان المفضل لدىّ أنا وزوجي . وأحضرت الشموع والموسيقي التي نحبها . وكنت قد إشتريت لزوجي هديته قميص وكرافت كان قد ينتوي شرائهم للبدلة الجديدة .

ودقت الساعة السابعة وهاهو موعد مجيء زوجي

ودقات قلبي تتسارع وكأنني سأراه للمرة الاولى ، ثم سمعت المفتاح يلف بالباب، وفتح زوجى ودلف بالداخل دون أن ينطق بكلمة أوينظرلي أو يرمي التحية .

فهرولت خلفه مسرعة...

ماذا بك ياحبيبي ؟

فلم يرد !!

فاذا بالباب يطرق..

فهرولت مسرعة يارب أسترها .. واذا بحماتي المصون تدفعني من أمامها وتدلف مسرعة وصوتها يعلو بالغرفة هي وابنها ..

أنت لازم تطلقها ؟؟

يالله ما هذا ومن الي سيطلقها ؟؟
أنا لا أستوعب مايحدث وأخشىّ أن أسأل أحدهم فيكون نصيبى إنفجار القنبلة فى وجهي ..
خرجت حماتي من الغرفة وظلت ترمقني بنظرات لا أستوعبها وأنا أحاول الا تتقابل عيناى بها .
ثم إنفجر البركان وحده دون سابق انذار
إيه دة ؟
انت ياهانم عاملة حفلة ؟؟
وكمان لابسة ومتشيكة ؟؟
وظلت ترمقني بنظراتها وتمصمص شفاها وتقول ناس فرحانة ومتهنية وناس للحزن مستنية ..
إحقاقًا للحقأانا مازلت لا أستوعب ما يجري وبمن تقصد بكلمة طلقها ؟
الأفضل الأ أنبث بكلمة أيضًا ، ثم نظرت فجأة للتنورة التي أرتديتها ، ولسوء حظي تذكرتها،
وماحدث يوم شرائها والتوبيخ الذي كان من نصيب إبنها .
فما كان منها الا أنني أخذت جرعة التوبيخ بدلًا من زوجي هذه المرة .. متهمة إياى بأنى ليس لدي شعور بالمسئولية وأن إبنتها تشعل أصابعها شمع لزوجها وتدبركل جنيه حتى لاتشعره بضغوط الحياة ،وفى النهاية تزوج عليها وعندما علمت بهذا طلبت الطلاق .
يالله !!
أنا الآن قد أدركت كل هذا الهرج والمرج الذى حدث منذ دخول زوجي المنزل، وحماتي خلفه .

خرج زوجي من غرفته بعد أن بدل ملابسه وغادر هو وحماتي دون أن ينطق حرفًا .
هاهي ليلتي المعتادة قد أوشكت على الإنتهاء ، وقد فسدتها مجريات الاحداث كالعادة .

كل عام لابد أن يحدث شيء . أما أن تنكد علىّ حماتي أو أن الظروف تأتي فى غير نصابها مثل اليوم .

عاد زوجي من الخارج وفى طرفه أمه ...
أسترها يارب ..
طال الحديث بهم وهي تبكي وتلوم على زوجي أنه سلبي وليس له شخصية لأنه لم يضغط على زوج شقيقته بأن يطلق الأخري .
ثم فجأة قالت لي أنها متشائمة من التنورة وأنها نحس، وأنها منذ رأتها وقد جلبت لهم الشر كله .
وطلبت مني أن أنزعها ولاأعلم ماذا هي فاعلة بها ، ثم نظرت لزوجى وقالت هذه التنورة فيها عين شر ولابد أن نحرقها !
..وبرمادها مع بذر رِجلة وماء وملح نمسح بها منزل أختك.
نظرت لزوجي حتي يتكلم هو ، لأني لو تحدثت سوف يحدث مالا يُحمد عقباه .
فإذا بزوجي يهزرأسه لأمه فيما معناه " إعملى اللى يريحك"
وبالفعل أجبرتني على خلع التنورة وأخذتها ومزقتها لحين أن تذهب منزل إبنتها، وتشعل فيها النار وتمسح برمادها وبذر الِرجلة وماء بالملح بيتها كما قالت .

وضاعت ليلتنا والحمد لله . وضاعت معها التنورة ، وأنا لا أعلم هل هي بسببها حقًا، أم أن حظى التعس الذى رماني فى حضن القطار لأموت بحب زوجي، وأتحمل مالا يطيقه بشر حتى أموت كمدًا، ولم أهنأ بيوم أتذكره حتي لو بعدها تصمت انفاسى للأبد..

****

امرأة بمائة عقل

كانت جميلة ومتعلمة ومن عائلة مرموقة في بلدتها ولها صيتها، فوالدها كان عمدة البلدة وأخواتها في مراكز مرموقة، فمنهم الضابط ومنهم المهندس ومنهم من بالسلك الدبلوماسي .

أما هي فكان تعليمها جامعي ، وكانت حديث البلدة فى جمالها ، أخلاقها ، حسبها ونسبها .

فأحبها شاب مرموق، ومن عائلة عريقة أيضا وتزوجن ، وسارت الحياة كما شاءت الأقدار.

ثم أنجبت خمسة أطفال جميعهم بالمدارس وبمراحل عمرية مختلفة . وفي ذاك الوقت زاد عليها حِمل المنزل وأعباء الحياة فلم تعد تلتفت لنفسها الا في أضيق الحدود.

حتى إقترحت عليها والدتها بأن تأتي لها بفتاة من البلدة تساعدها في أمور المنزل حتى يكون لديها متسع من الوقت لتتفرغ لنفسها ولزوجها الذي لم يشتكي في يوم من الأيام من إهمالها في نفسها وانشغالها بأولادها .

فوافقت ..

وبالفعل أتت بفتاة من البلدة التى بها جذور عائلتها ، فكانت الفتاة تبلغ من العمر السادسة عشرة عامًا مطيعة ،هادئة وعلي قدر من الجمال الربانى. ولكن كان الذي يعيبها شيء واحدًا فقط هو نرجسيتها وحبها لذاتها، وإهتمامها بشكلها ، شعرها ، وهندامها فقد

كانت ترتدي العباءات الضيقة من الأجناب حتى تبرز مفاتنها وهى تمشي ، فكم مرة نبهت عليها أن تعصب شعرها ، وترتدى فضفاض.
وكانت الفتاة تسمع ماتقوله لها سيدتها. ولكن سرعان ماكان يتبدد كل هذا عندما كانت تنتهي من أعمال المنزل وتقبع فى غرفتها لتستريح فكان كل وقتها أمام المرآة .

في يوم من الأيام كانت تجلس أمام التلفاز في وزوجها، وكان زوجها من عشاق أفلام الأبيض والأسود، وخاصة أفلام سامية جمال ، وهند رستم فاتنات الشاشة الصغيرة .

وكان في ذاك اليوم فيلم لسامية جمال فقد كانت تقوم بتمثيل دور الخادمة وظلت تتغنج علي سيدها في الحوار الدائر بينهما ، وفجأة وجدت زوجها يُحدِق في التلفاز وأُجحظت عيناه ، ووجه ينفجر من الإحمرار، ويتصبب عرقًا كأنه كان فى ماراثون للجرى ،فقالت فى نفسها عله دور سخونة وبردُ قادم فى الطريق.

وأكملت مشاهدة الفيلم هي وهو كالعادة دون أن تنبس بكلمة واحدة ..

الى هنا الموقف لايوجد به أي تعجب من ناحيتها !!

وذات ليلة مشئومة نهضت من فراشها قبيل آذان الفجر حتي تستعد للصلاة.

وفجأة لم تجد زوجها بجوارها ، فبحثت عنه عله فى الحمام يستعد للوضوء ،

وهي في طريقها للحمام سمعت همهمة قادمة من غرفة الخادمة ، فوقفت تسمتع للحديث وفتحت الباب ببطء شديد حتي تري مايحدث ولكنها وجدت الصدمة التي لم تكن فى الحسبان وكأنها تري فيلم من

أفلام السنيما .
فأغلقت الباب ووقفت هي والشيطان فى صراع ، هل تسمع كلامه وتسرع الي المطبخ وتأتي بسكين تغرسه في قلبيهما وهما متلبسين؟ أم ماذا تفعل؟
وظلت للحظات هي والشيطان و من منهم يفوز بهذه الجولة !!
وسريعًا إستعادت عقلها وأستعاذت بالله وعادت أدراجها . فتوضأت وصلت ودعت الله أن يلهمها التفكير السليم في هذه الكارثة . ثم عادت الي غرفتها وكأنها لم ترَ شيئًا..
وبعدها عاد زوجها الي فراشه وكأن شيئًا لم يكن .
وظلوا بعدها يومين وكل شيء فى نصابه الطبيعى .
حتى جاء موعد مأموريته الشهرية التي يقوم بها فى عمله .فودعته كالعادة وسافر بسلامة الله .
ثم أتت بالخادمة وقامت بتأديبها ضربًا وتعنيفًا كما يقول الكتاب ، وهددتها أيضًا بالفضيحة المدوية في البلدة. ولكن الخادمة إستعطفتها بأن تتركها وشأنها وهي لم تعد تعمل فى بيوت مرة أخرى .
وبالفعل تركتها تعود من حيث أتت والله حليم ستار.
وبعد عدة أيام عاد زوجها من مأموريته وإستقبلته إستقبالًا يليق بالفارس المغوار.
وبعد أن جلس وإستراح نادى علي الخادمة مرة تلو الأخرى.
فأخبرته أنها مرضت مرضًا شديدًا جعلها طريحة الفراش ، فخشيت أن يكون أصابها مكروه وبسرعة ذهبت بها للطبيب، وبعد الفحص طلب منها أشعات وتحاليل.

فبسرعة طلبتهم مستعجل من معمل التحاليل ولكن حدث مالا يكن فى الحسبان توقعه !!

فقد أبلغها الطبيب بأن نسبة كرات الدم البيضاء تحت المعدل الطبيعى بمراحل ، أى أن المناعة لديها منخفضة جدًا وها يدعو للقلق ويشك الطبيب في أنا قد تكون مصابة بالمرض اللعين (الإيدز) يالله وطلب منها الراحة التامة مع العلاج وبعد شهر تعاود التحاليل مرة أخري ، وسيري هل من إستجابة أم أنها تودع في مصحة للإيدز للإستكمال العلاج .

وبناءً على ماتم أعطتها أجازة مفتوحة مع مراعاة إرسال راتبها الشهري حتى تستطيع العيش هي وأهلها .

هنا وقف زوجها مذهولًا من هول ماسمعه وعلي أثره لم يغمض له جفن طيلة ثلاث ليالٍ وهي تكاد تموت ضحكًا عليه وتشفِ فيه .

وبعد الثلاث ليالِ هذه طلب منها زوجها الذهاب للطبيب لأنه يشعر بالغثيان والتعب ولايقوى على النهوض من فراشه، هذا هو الإيحاء بالمرض بناءًا علي ماروته له زوجته بخصوص الخادمة .

فهدأت من روعه وذهبا معًا للطبيب وقد كانت علي إتفاق مسبق مع الطيبب .

وبالفعل طلب الطبيب عدة تحاليل وأشعات ، وزوجها علي أعصابه.

وقد مر شهر كامل أهمل زوجها فيه عمله وأخذ إجازة مرضية ومكث بالفراش لا يتحدث الا القليل ولا يأكل الا الكفاف الذى يصلب طوله .

وكل هذا وهي في ثبات لاتحسد عليه .

ثم فجأة طلب الطبيب مقابلته وهذا بالتأكيد أيضًا تحت مرأي ومسمع وإتفاق مسبق منها فذهبا معًا وكانت أقدام زوجها تتخبط

ببعضها حتي وصلا الى الطبيب وهنا أخبره بأنه يحتاج لمجموعة من الفيتامينات المقوية للمناعة، وأيضًا لأغذية معينة لتقويتها مع الحفاظ على صحته.

كما قال له الطبيب أن أفضل علاج لعدم النوم هو قراءة القرآن والصلوات .

فشكرا الطبيب وذهبا الى منزلهما وهو يحمد الله طيلة الطريق علي نجاته من أي مرض لعين وهي تحمد الله أنها تصرفت بذكاء ولم تفقد أعصابها وتستمع للشيطان، وتقتلهم . وإلا كان وقتها خسرت بيتها، وأولادها، وزوجها وعائلتهما المحترمة، وجلبت لهم العار أيضًا لفعل والدهم .

وأيضا حمدت الله علي سلامته من أى مرض . وخاصة أنه يرفض أن يتناول قرصًا واحدًا للصداع ، ويكره الأدوية كرهًا جمًا .

وحمدت الله أن هذا كان درسًا لقنته له حتي لايعاود لهذا الفعل مرة أخرى ، حتي لو كانت أمامه ملكة جمال العالم .

لن تنسي أن تحدثكم بأن ماحدث من تدبير منها يكون سرًا بينها وبينكم ولايفشى أبدًا له حتى لايفقد زوجها فيها الثقة .

فالحمد لله على نعمة العقل والدين والبصيرة .

****

جائزة السماء ..

ليلة الحِناء ، فرحة في عيون كل صديقاتى ،لم يتخيل أحد أني سأتزوج، فقد ولدت سمراء قبيحة كما يقولون، لست جذابة ،ولاأملك من الجمال مثقال ذرة ، أمي التي ولدتني تمقتني، ولا تحبني .

هكذا دائما ماتشعرني بذلك ،فهي دائمة الإهتمام بإخوتي اللاتي يصغرنني .

ولاتعيرني بالاً وكأني بنت البطة السوداء ،حتي أنني لا أرى فرحتها بزواجي ،فعندما تعرفت على حبيب عمري في العمل وطلب الزواج مني وأخبرتها بذلك، لم أجد فرحة الأمهات بعينيها.

بل رأيت نظرة شفقة، وكأنها تقول لي علي ماذا سيتزوجك .

مما جعلني الا أثق في نفسي ،الي أن جاء هذا اليوم الذي إنتظرته طويلًا حتي أثبت لأمي أنني مثل الفتيات اللاتي في مثل عمرى .

أحب ، أعشق ،وأجد من يرغب فيّ . وبرغم هذا اليوم الا أنني لا أرى الفرحة في عيون أمي ، بل أجد نظرة لاأفهمها حتى هذا اليوم ...

ثم أفقت على زغرودة صديقتي الوحيدة " ليلى" التي كانت تحبني أكثر من إخوتي ولا أدري لماذا ؟

لعلها ترى فيّ مالا يراه أهلي ..

الله أعلم..

كان المنزل مكتظ بجميع الأقارب ، عندما خرجت من غرفتي متزينة ببعض الزينة الرقيقة صنيع صديقتي الوحيدة ، فقد كنت أخشى أن أصبح كالبهلوان من المساحيق نظراً لسماري القوي ، وقبح منظرى

واضعة علي جنبات شعرى طوق من الفل الأحمر يليق بفستانى العاجى ومرصع باللولي ، أكمامه من القماش الجيبير المفرغ بالخرز، ويجره ذيل خفيف مرصع أيضا بالفل الأحمر، أحمله وأنا فرحة به .

وكأن كل من يراني سيحسدني هذه الليلة ،فهذا إعتقادي .

كنت متوترة الى حد ما.

أحاول أن أكون متماسكة حتّى لايلحظ الجميع إنفعالاتي رغم أني أرى همسات شفاههم، والهمزواللمزعلىّ وانا لا أعبأ بهم .

وقتها تسلل إلي أذني صوت زغاريد عالية يصاحبها صوت صديقتي ، العريس وصل ومعه المأذون الذى سيعقد قراننا .

الحمد لله ، لم يتأخر كثيرًا هكذا كنت أحدث نفسى ،لأنى كنت أخشى أن لا يأتى حبيبي وتشمت فىّ أمي كما كانت تحدثنى نظراتها .

تأملتني عيناه عندما رآني وهو يقترب مني ، وكأنه يقول لي لحظات وسوف تكوني ملكي وحدي

أحببت حديث عينيه. حتي عندما طلب المأذون منديل الزواج ليعقد القران كان خالد حبيبي ينظر لي ويبتسم وتمت مراسم عقد القران. وأيضا نظرات أمى بها مابها والجميع يهنئونها ويباركون زواجي وهىّ لا تأبه بهذا الحدث ،حتى تحدثت مع نفسي متسائلة هل هي أمي حقًا ؟؟

ولكني طردت هذا الهاجس من نفسي مدعية الفرحة التي تنتظرني وهنا وجدت يدا خالد تطوق يدي مقّبِلاً إياها.

ثم أخذني بين ذراعيه ،تاركين بيت أهلي الىّ عشنا السعيد .فهذا يوم عقد القران والحناء والزفاف أيضًا .لأننا إتفقنا أن لا نكون تقليديين حتىّ في مراسم عُرسنا .

فسلمت على أقاربى وصديقتى الوحيدة وإخوتى وعندما أقبلت لأسلم على أمى وأقبِلها ،همست في أُذني قائلة " إياك أن تعودي الىّ هذا المنزل عندما يدركك الطلاق" ....

يالله أي أم هذه ..فتماسكت !!

لم أظهِر شيء أمام خالد ،ونزلنا الدرج و فتح باب السيارة المزخرفة بالبالونات التي ظلت ترفرف طوال الطريق كما يرفرف قلبي.

ثم قال لي بعذوبة "بحبك" ومعكِ سأكمل رحلة العمر الطويلة.

تلألأ وجهى بإبتسامة.

وأنا لا أشعر بالأمان الا معك.

ثم وصلنا الى منزلنا الجميل ، وكانت أجمل ليلة منذ ولدت ،وأحسبها ليلة في الجنة.

مر أسبوعان على زواجنا لم يطرق باب المنزل غير حماتى .

تلك السيدة الراقية التى لم أنل منها مكروه ...

أمي لم تزورني ولم تُرِد أن تزورني.

ولا تريد أن تعرفني ولا أعرف لماذا حتى الآن.

هذا ما أخبرتني به صديقتي أثناء زيارتها لي .

ثم بعدها جاء الطوفان الذي لم يكن في الحسبان.

فقد أهملني خالد ولم يعد يشعر بي رغم كل محاولاتي لإجتذابه نحوي.

تركت العمل لأتفرغ له ولكن دون جدوى .

أهملني ولم يعد يهمس بحرف واحد وكأن الزواج في نظره شهر العسل فقط .

حتىّ عندما حملت بأحشائي طفلتنا ، لم يعبأ أو يهتم وكانت حماتي هي من تأتي معي الى الطبيب للمتابعة حتى حان موعد الولادة .

وذهبنا الىّ المستشفى كان هو مع أصدقائه في السينما. ولم يأت معنا .
ودخلت الى غرفة العمليات دون مساندة حبيبي خالد.
حتىّ أفقت من الولادة وجدت بجوارى ملاكي الصغيرة.
سبحان الخالق العظيم ،وحمدًا لله أن طفلتي لم تشبهني نهائيًا فكانت كالبدر في تمامه
وجاء خالد الىّ بعد عودته من السنيما ،وفرح بالملاك الصغيرة ،وكانت أول كلمة نطقها هي حمدًا لله أنها لم تشبهك والا ماكانت ستجد أبله مثلي يتزوجها .
أقول الحق كلمة نزلت كالصاعقة في قلبى ،فأنا أعلم أني سمراء ،ولم أحظى بالجمال ولكنك أحببتنى وتزوجتني فلما هذا الكلام المؤلم ..
ثم بعد أيام قلائل ذهبنا الى المنزل بصحبة خالد ووالدته.
ومنذ دخولنا للمنزل لم أعد أرى خالد ولم يعد ينظر في وجهي وكأننى قطعة أثاث في المنزل
يسهر هو مع أصدقائه حتىّ الصباح ويعود لينام ساعتين ثم يذهب الى العمل..
وهكذا يوميًا حتى أنه لايرى وجه إبنته .
ومر العام الأول على زواجنا إستعددت له بكامل أناقتي وزينتي والمنزل أيضًا ، وجهزت كل شيء في جو رومانسى وعلى ضوء الشموع وكل مايحبه ويريده خالد.
فهذا العام الأول لنا مع بعض برغم ما مررت به من قسوة وإهمال.
لكني حدثت نفسي أني سوف أُعيده الىّ مرة أخرىّ ..
ثم وجدت رسالة منه علىّ الواتساب يقول لي إزيك !!
فقلت الحمد لله بخير، فهذه المرة الأولي التي يسأل عنى..

فأخبرته إنى أُحضرله مفاجأة ورجوته أن يعود الى المنزل بسرعة ولا يتأخر

فقال لى أنا أُحْضِرلكي مفاجأة أيضاً ولكن لم أنتظرحتّى أتي الي المنزل فأخذني الحماس وسألته!!

لقد شوقتنى ولم أعد أنتظر

فقال لى "أحبك ولكن لم أعد أستطع النظرالى وجهك وأريد أن ننفصل"

فنزلت كلماته كالصاعقة وسألته !!

لماذا؟؟؟

هل أنا مقصرة في حقك أم أنك تريد الزواج بأخرى جميلة ؟؟

فأنا أعلم أنني لست بجميلة فلماذا تزوجتني ؟؟

فقال يكفيكِ لقب متزوجة عام كامل .

الا يكفي هذا ؟؟

فرجوته أن يتركتي في كنفه دون طلاق وله مايشاء ..

فكلمات أمي مازالت عالقة في أُذنى تصرخ "إياكِ أن تعودي الى هذا البيت عندما يدركك الطلاق " ..

ياالله ..

وبالقسوة هذا الزمان ، وكأنها كانت تعلم ماسيحدث لى..

وإتفقنا أن يتزوج حبيب عمري وأن لا يطلقنى ..

وتفرغت أنا للملاك الصغيرة التي لاتشبهني وحمدًا لله أني أُقرعيني بها.

حتى علمت من حماتي أنه تزوج شقراء تسر الناظرين.

فتمنيت له السعادة الأبدية .

عندما تزوج خالد وأصبح له بيت آخر أصحبت حماتي هيّ التي تتولى شئوننا .

ومر العام الثاني وأصبحت إبنتي "ملك" عمرها عام وهي تكبر أمام عيني يوم بعد يوم حتى الحقتها بحضانة لأني أريد أن أعمل مرة أخرى .

فما كان من أصحاب الحضانة الا أنهم طلبوا مني العمل معهم لما وجدوه من سماحة في وجهي رغم قبح شكلي.

فوافقت على الفور، وحمَّدا لله اني لم أُحرم من ملاكي الصغير، وسوف أكون بجوارها . وبدأت رحلتي في الحضانة وإبنتي تكبر أمام عيني ،والأطفال حولى بدلاً من إبنة واحدة فأصبح كل الأطفال أبنائى.

وأصبح أبائهم وأمهاتهم أصدقائى المقربين لي .

ومعاناتهم، ومشاكلهم أقوم بحلها ونصحهم فيما يعملون.

ثم قرأت في الجريدة اليومية عن دورة لتنمية الذات ، فالتحقت بها وكنت أترك طفلتى لحماتى وأحضر الدورة حتى إجتزتها بنجاح.

ثم أتفقت مع أصحاب الحضانة التى أعمل بها أن نفتح في المساء فصلاً للتدريب على تنمية الذات وأن يكون أولياء أمور الأطفال لهم الأولوية في هذه الدورة مع الخصم المناسب لهم .

فوافقوا على ما إقترحته .

وتم التنفيذ وأصبح صيتى كمدربة يجوب المدينة التى أقطن بها والأحياء المجاورة حتى تمكنت من الإلتحاق بالماجستير.

وإجتزته بنجاح وأصبحت إبنتى عمرها أربعة سنوات ، فجاء يوم ميلادها الرابع فوجدتها في الصباح تأتي لي بوردة، وتهدينى إياها وتقول لي أنتي أعظم ماما في الدنيا أنتي جميلة أوي ياماما ..

ياالله ..

نظرت بسرعة الى المرآة فلم أجدني جميلة.

فكيف لهذه الطفلة تراني جميلة ؟؟

سبحان الله الملائكة عيونهم أجمل .

فقبلتها ووجدتها تأخذني في حضنها الدافيء وتقول لي أنا مامتك وأنتِ مامتي فضحِكت يى وبكَيت أنا.

فأنا لي أم في هذه الحياة ولكني يتيمة ..!!

ثم جهزت لها حفلة تضم أصحابها في الحضانة وأهاليهم وفي أثناء الإحتفال بعيد ميلادها أتى صديق صغير لإبنتى ملك .

وتقرب منى قائلاً : تسمحي ياطنط أخطبك !!

فضحكت بصوتٍ عالٍ ، كيف لهذا الصغير أن يطلب منى هذا ؟؟

فوافقت على الفور معلنة الخبر أمام الجميع وتعالت الضحكات وإذا بالملاك الصغير "يوسف" يقول أخطبك لبابا ياطنط عشان أنتِ أحسن أم في الدنيا كلها ، وأنا عايزك تبقى ماما زى ماأنتِ ماما لصحبتى ملك ، علشان أنا مامتى عند ربنا ..

ياالله ماهذا ؟؟

ثم تقدم والده أمام الجميع وكرر طلب يوسف قائلًا : أنا مش هلاقى أُم حنونة وجميلة زيك كدة ياأستاذة هيام ..

حلَ الصمت على المكان منتظرًا إعلانى بالموافقة فما كان منى الا أن أعلنت بكل أسف أننى لست بمطلقة كما يعتقد الجميع أنا فقط منفصلة !! ..

فالمفاجأة كانت كالصاعقة على "ياسر" والد يوسف ولكن في هذه الأثناء نهضت والدة خالد "حماتي" قائلة :

سوف أتحدث مع خالد حتىّ يطْلِق سراحك وتلتفتى لحالك يابنتى ، يكفى هذا . فهو متزوج وعايش حياته ولكِ أنتِ أيضًا الحق في العيش بسعادة . وكان هذا وعد من حماتي لياسر والد يوسف.

والجميع فرِح لهذه المبادرة من السيدة الرقيقة .

وإنتهي الحفل وملك ويوسف فرحين وباقى الأطفال والأصدقاء .

وتم بالفعل الطلاق من خالد ومرت شهور العدة الثلاث بسلام .

وتزوجنا أنا وياسر في وسط فرحة عارمة من الأصدقاء ، وأصبح لي بالفعل ولد جميل كالبدر في تمامه إسمه يوسف وبنوتى الجميلة الساحرة ملك، وزوجى الحبيب ياسر. وأصبحنا عائلة جميلة تحفنا السعادة التي بفضل الله عوضني بها خيرعوض وأهداني إياها من السماء، ثم بفضل من وقفت بجانبي تلك السيدة الرقيقة جدة ملك التي أُكن لها كل تقدير وإحترام .

فقد كانت خيرعوض لي عن أمي التي لاتعرفني ولا أعلم لماذا حتي الآن .

وأيضا الفضل لكل من رآني جميلة لأنه جعل فيّ الإصرار والعزيمة لكي أكون إنسانة جميلة من الداخل وليس من الخارج .

والحمد لله كثيرًا علي عطاياه ونعمه التى لاتعد ولاتحصى ،

فقد أتممت العام الثالث مع زوجي ياسر في ظل أبنائِنا ملك ويوسف ،وحصلت عليّ الدكتوراه في العلوم التربوية وفتحت مركز للإستشارات الزوجية والتربوية ، وكل هذا بفضل الله ثم بفضل أسرتي الجميلة الصغيرة بقيادة زوجي ياسر حفظه الله وحفظ لي أسرتي الجميلة .

جرح الروح

غرفة مظلمة ، ماهذا الصوت !! إنه صوت الثعابين .

لاترى من هذا الظلام شيئًا ولاحتى نفسها ، تفكر في الهروب ، تحيطها الأصوات من كل مكان ، تحاول أن تصرخ ، لاتستطيع الإستيقاظ، فأنفاسها متقطعة ، يؤرقها ذلك الحلم الذي لايفارقها طيلة الأيام الماضية ...

هواجس خيانته تطاردها ليل نهار، كم أصرت عليّ الرحيل في كل مرة للتخلص من تلك الطعنة المتكررة.

الا أنها في كل مرة تجد له مبررًا ، وأن هذه مجرد هواجس شيطانية كي يفرق بينهم

، رغم الحقائق والإثباتات التي تبرهن عليّ خيانته الا انها تجبر نفسها كي لاتصدق..

لكن هذه المرة لا عليها أن تنفذ مالا تطيق عليه صبرًا، فقد وجب تنفيذ ذلك القرار..

نفذ صبرها ..

منذ سنوات وهيّ تتحمل بين طيات نفسها هذا الألم ، لم تتجرأ أن تصارحه به ، لكن اليوم إكتشفت، بل تأكدت من آثار إمرأة على فراشها !!

الطعنات تخترق جسدها ، تشعر بأنفاس تلك المرأة ، تشعر بكل حركة ، همسة ، لمسة ، كل نفس خرج منهما معًا عليّ رغم أنها حاولت تطهير الفراش !

سأواجه وليحدث مايحدث ..
هل مازال يحبنى ؟
هل يفعل ذلك لأننى لم أنجب له أولاد
رغم أننا نعلم بمن العيب !
هل أفعل مثلما يفعل ؟؟
لا والله ماأنا بخائنة ،،
كيف أخون عهد الله الذي بيني وبينه بأن أصونه فى ماله وعرضه وغيابه وحضوره..
كيف أخون نفسي ؟
كيف أخونه وهو زوجي وحبيبي !!
ظلت تتساءل وتتقلب في فراشها حتىّ أعدت العدة ونهضت من مضجعها ،
دخلت المطبخ لتعد له العشاء..
عندما يأتي سوف أحدثه بكل صغيرة وكبيرة ، أخرج النارالتي تأكلني كل يوم ،
وبعدها أتركه وأرحل ،
أثناء ذلك الحديث لنفسها وأثناء تقطيعها البصل بالسكين المسنون جرحت إصبعها جرحًا غائرًا نزف الدم بغزارة عليّ الأرض .
لفَتْ إصبعها بقطعة من القماش ، ضغطت عليه تحاول إيقاف النزيف ، متألمة حانقة ، ناقمة ، عضت على شفتيها ثم إنفجرت في البكاء جالسة على الأرض من قمة الألم .
وحيدة هى فى المنزل لا أحد يشعر بها !

إنه بكاء الوجع ، بكاء جرح نفسها وكبرياءها وليس بكاء من الجرح الصغير بإصبعها ، صرخت "لا .... وألف لا "صرخة مدوية نفذت الي أرجاء المنزل فهزت جدرانه ..

قالتها بصوت محشرج كجسد يخرج منه الروح .

نظفت الأرض من الدماء ولفت إصبعها بقطنة وقطعة شاش .

ذهبت تغسل وجهها ، نظرت في المرآة ، وجدت عيونها حمراء بلون الدم من كثرة البكاء ، ووجنتيها كمن كانت تهرول فى سباق الموت .

عادت الي المطبخ لتكمل مابدأته لتحضير الطعام .

أكملت ممسكة السكين، محدثة نفسها "لا لن أسكت مرة أخري ، لابد من المواجهة "

غرزت السكين فى لوحة التقطيع متوعدة ...

الآن يأتي وسوف أوجه إصبعى الجريح فى وجهه " أنت تخونني"

لقد خنت العهد الذي بيني وبينك ..

لن تتنظر ردًا ولن تنشد تفسيرًا أو تبريرًا ، لن تتوقع إنكارًا .

لن تتوقع إعتذارًا ..

تتحدث الي نفسها !!

فقط أقول له انت تخونني ، ثم أفتح الباب وأمضي خارجًا..

الي أين ؟؟

قد يسألها ...

الي أين؟؟

تسأل نفسها أي باب تطرقه ؟

وأي باب سيفتح لها ؟

ثم ماذا تفعل ؟

كل هذه السنين لم تجد ماتقوم به بقدر ماقامت بدورها كزوجة ..

قامت به علي أكمل وجه ، وهو غائب حفظته منتظرة عودته ، وحتى حين يأتي.. دائمًا في طاعته ،

حتي حين لايريدها هي متأهبة ، فى قمة غفوتها تنهض مسرعة تسأله عما يريده ..

هاهو يفتح باب الشقة يدلف الي غرفة النوم يغير ملابسه ، تساعده ، تعرف أنه تعشى خارجًا، لكنها تصر على سؤاله .

تعرف أنه لايريد القهوة لكنها تسأله ..

تعرف أنه لايجيبها لكنها من مبدأ الإطمئنان .

كيف حالك ؟؟

سألته..

هز رأسه . فك ربطة عنقه ..

تقدمت نحوه بثبات ... رفعت وجهها في وجهه..

سألها ما الأمر ؟؟

خبأت إصبعها وراء ظهرها

وسألته :

هل أحضر لك العشاء ؟؟..

****

بيـــرانا

بيت من الطوب الحرارى مبني على الطراز الفرنسي في مدخله تمثال يشبه الموناليزا ،
تقطن بداخله "ألما " فتاة جميلة الملامح ممشوقة القوام تشع بهجة وحياة ، وتبث الروح في كل من يتحدث اليها كمعنى إسمها الروح أو فتاة الروح .
"ألما" ..من عائلة أرستقراطية بنَتْ نفسها بنفسها حتي أصبحت تملك نصف بلدتها تقريبًا ، أحبت إبن عمها منذ أن كانت في المرحلة الإعدادية ،عندما إشتعل لهيب الحب أول مرة رأت أشرف إبن عمها يتحدث مع فتاة أخرى ويضحكون بصوتٍ عالٍ .
في هذه اللحظة إشتعلت نار الغيرة في قلب ألما ، وأدركت أنها تحب أشرف ومنذ هذه اللحظة وهى تحبه فى صمت ، لكنها لن تسمح لغيرها بالتقرب منه.
ومرت السنوات حتي جمعتهم كلية واحدة هي الألسن ، درسوا اللغة الالمانية .
هنا إعترف أشرف ل"ألما "بحبه بعد أن شعر أن أخاه الأكبر طارق يرغب بها . فوجد من "ألما" الموافقة لأنها تحبه منذ الصغر وصرحت له بهذا الحب .
وأعتبر نفسه مغفلًا لأنه لم يشعر بها كل هذه السنوات ..
وعندما أصر مفاتحة والدها على الخطبة كان أخاه طارق قد سبقه

في طلب يدها نظرًا لأن يجمعه ووالدها أعمالًا تجارية وصناعية كثيرة فكان الوقت متاح لطلبه ، فما كان من والد" ألما "الا أن ينتظر رأيها .
عندما جمعهم موعد العشاء فاتح "ألما "في طلب إبن عمها طارق .
فما كان منها إلا أن رفضت وإعترفت لوالدها أنها تحب أشرف، وطلب يدها وفي إنتظار تحديد موعد .
هنا خشي الوالد أن يحدث صراع بين الأخوين ،ولكن حدث مالا يتوقعه أحد .
عندما فاتح أشرف أخاه بأنه يريد أن يتزوج "ألما" ، صمت طارق قليلًا، ثم بارك طلب أخاه ، وتم تحديد موعد للخطبة وساهم طارق ووالد "ألما" في تأسيس شركة إستيراد وتصدير لهما سويًا برأس مال خمسة مليون جنيه، وعليهم هما أن ينشطوا العمل ويكبروا الشركة. لأولادهم مستقبلًا.
تم أيضًا تأثيث المنزل الذي تقطن فيه "ألما" مع والدها ولكن لها طابق بمفردها ، وتم الزفاف وعاشوا في سعادة حتى حدث حمل "ألما" ...
بات التعب يداهمها ومكثت بالمنزل للراحة ، وتركت أشرف يعمل بمفرده .
حتى أتى موعد الولادة وأنجبت ولدًا بدر في ليلة تمامه سوف يحمل إسم العائلة ويخلده .
وطار الجميع فرحًا ومكثت "ألما " أيضا بضعة أشهر في المنزل لرعاية الصغير وراحتها ..
وبعد مرور عدة أشهر، ذات يوم دق الهاتف فردت
"ألما" محدثة نفسها من الذي يهاتفها في وقت مبكر هكذا !!

فرد الطرف الآخر أنا فاعلة خير.
أريد أن أخبرك بأن زوجك تزوج "مها" السكرتيرة منذ أكثر من أربعة أشهر، وإن لم تصدقيني عليك بالعنوان هذا وسوف تكتشفي كل شيء .
وأغلقتْ الهاتف دون سلام ..
"ألما" في ذهول ولم تصدق نفسها ولم تصدق المتحدثة أيضًا ، ولكنها قطعت الشك باليقين وعقدت العزم علي أن تذهب للعنوان الذي تلقته من المتحدثة ..
فتركت إبنها مع المربية وأسرعت بالسيارة حتى كادت أن تصطدم بالشجرة المقابلة للمنزل من فرط عصبيتها ، ووصلت للمكان سريعًا لأن الطريق هاديء ، ولم يتكدس بالمارة والسيارات.
وصلت للعنوان المذكور .
وصُدمت عندما وجدت سيارة زوجها أشرف أمام مدخل العمارة فَهَمْت بالنزول من السيارة ثم توقفت مجِدثة نفسها ماذا أفعل ؟؟
هل أواجههما ؟؟
وقتها سيكون الطلاق
أم أتركهما وأفكر كيف أنتقم لكرامتى ..
وهنا هداها التفكير الى أن إستعانت بشقيق زوجها طارق الذي مازال يحبها حتى الأن .
وقصت على مسامعه تغير علاقة أخوه معها وخاصة بعد أن أنجبت إبنها نور وهي ماعادت تتحمل هذه المعاملة ولولا تسرعها في هذه الزيجة لكانت الآن زوجة لمن أحبها العمر كله.

ألما" داعبت مشاعر طارق وأيقظتها بعد أن كانت فى ثباتٍ عظيم ."
فنصحها طارق بأن تتحدث مع زوجها بهدوء وإن لم يستجيب ويحسن معاملتها فعليها بأن تطلب الطلاق فوافقته ..
لكنها تمهلت حتى تفكر كيف تنتقم من أشرف زوجها .
ولكن كيف وهي التي لاتريد أن تلوث يديها بدمائهم ....
في هذه الأثناء كانت قد رجعت الي المنزل هي وطارق وكان قد نصحها بأن تأخد حمام دافى وتشرب فنجان ينسون حتى تهديء من عصبيتها وتفكر بهدوء .
فوعدته بأن تفعل فتركها وغادر.
وبعدها دخلت تأخذ حمامًا حتي تستطيع التفكير جيدًا ، ثم وضعت فيلمًا أجنبيًا لتشاهده وتفكر بهدوء ، فجذبها مقطع من الفيلم عندما شاهدت فيه أسماك صغيرة تفترس ضحيتها دون أن يفكر أحد أنه من الممكن أن تفعل هذه الأسماك الصغيرة هذه الجريمة الشنعاء ' أما الاسماك فإنها البيرانا ..
فإختمرت الفكرة فى رأس"ألما" وعقدت العزم على التخلص من زوجها أشرف دون أن يشك أحد ان تكون هى الفاعلة أو المدبرة للأمر..

في المساء عاد زوجها وإستقبلته إستقبال البطل العائد من الحرب ، وسألته عن التأخير:
فرد عليها أنه كان لديه إجتماع بالموظفين لعمل الميزانية الجديدة للشركة ..
ومن الآن تعَودِي على هذا لأن العمل شاق بدونك حبيبتى .

فإقترحت عليه أن تعود للعمل ولكنه رفض وثارعليها خوفًا عليها من مشقة العمل .

ولكنه طلب منها أيضًا مبلغ كبير من المال للتوسعات الجديدة بالشركة ، وهذا المبلغ يكاد يكون كل مالديها فى البنك فوعدته حتى تستشير أبيها !!

أشرف تعصب عليها وقال أنت من يمتلك المال وليس أبيك ،

فما كان منها الا أن هدأت من روعه ، وقالت له اليوم الخميس وإنتهى الدوام فى البنك ..

وغدًا الجمعة وبعد غدٍ السبت والبنوك مغلقة ، ووعدته أن تتحدث مع أبيها غدًا، ويوم الأحد سوف تقوم بإيداع ماتملكه في حساب زوجها حتى يتسنى له توسع الأعمال .

ففاجأها بسفره هذه الأيام وسوف يعود الإثنين تكون هى وضعت المبلغ فى حسابه .

ولم تظهر شيئًا مما علمت به ورأته بعينها ..حقًا أنها داهية.. وغادر أشرف في الصباح وبعد الظهيرة إستدعت" ألما "منصور زوج المربية لامرٍ هام فأتى على وجه السرعة، ورحبت به ألما وشرحت له كيفية التخلص من زوجها أشرف عقابًا على خيانته ..منصور كان قد مكث فى السجن خمسة سنوات ظلم في قضية سرقة بالاكراه وعندما خرج من السجن قرر أن يتحول الى مجرم تحت أى ظرف ، ولكن أن يكون إجرامه له عائد مادي فهو مستعد أن يقوم بأي عمل .. وافق منصور عالخطة التي رسمتها ألما وكانت بداية المهمة هى مراقبة زوجها الذي إدعى السفر.

أخبرت"ألما "طارق بأن اخوه سافر لتجهيز عقود مع مستثمرين بالخارج ومر اليومان المتفق عليهم حتى جاء يوم الأحد وذهبت"ألما "الى البنك وحولت كل أموالها حسب الاتفاق مع زوجها حتي لايشك بها أحد .

وفي هذه الأثناء كان منصور زوج المربية يراقب أشرف والسكرتيرة الذي لم يغادر المنزل كما إدعى .

إلا انه فى صبيحة يوم الأحد خرج أشرف والسكرتيرة من باب العمارة التي تقطن بها وسار ورائهم بالسيارة حتي باب مدخل الأسكندرية الغربي وهناك في مقدمة الطريق خرجت سيارة مقطورة أخذت في أحضانها سيارة أشرف والسكرتيرة ، وأصبحت كعلبة الكبريت .

رأي منصور هذا المشهد فاتصل ب"ألما" وروى لها ماحدث فطلبت منه أن يتأكد من موتهما ويعود أدراجه الى منزله ولايروي ماحدث لأي مخلوق ..

وإتفقت معه أنها سوف ترسل له مع زوجته ظرفًا به ماتبقي من الإتفاق ..

بعد ساعتين هاتف طارق" ألما "وقال لها أنه في الطريق ليأخذها الي المستشفي لوجود حالة مرضية من أصدقاء أشرف ، وسيقوموا بعمل الواجب نظرًا الي أن أشرف ليس موجودًا وهي تحل محله فى عمل الواجب .

فعلي الفور لبت النداء وهي بداخلها تعلم أن الأمر يخص حادث زوجها ..

وفي المستشفي حاول طارق أن يبلغها خبر حادث شقيقه وزوجته ولكن لايعلم كيف يبدأ وخاصة أنه كان يعلم أن أشرف متزوج منذ مايقرب من ستة أشهر، أى قبل ولادة ابنها نور .

وهذا كان سببٍ كافٍ لتغيير معاملة أشرف ل"ألما" ، هذا ماكان يدور في نفس طارق .

تشجع طارق والقي الخبر في وجهها وتظاهرت بالحزن على زوجها وبكت كثيرًا ثم صدمها بأن أشرف كانت معه بالسيارة إمرأة ثلاثينة فإنهارت "ألما" وأصرت على أن تعرف من هذه السيدة فصارحها طارق بأنه علم أنها زوجته فبينت أنها مذهولة وانهارت تصنعًا.

كيف حدث هذا ؟؟

أنا لم أقصر في شيء حتى يطعنى هكذا ؟؟

وفي هذه اللحظة كان إنهيارها من القلب حقًا حزنًا على حب السنيين والعشرة التي لم يلقى منها الا كل خير هى وأبيها . وأوضحت لطارق أنها حولت له كل حساباتها حتي يكبر الشركة ويتوسع ويصبح أكبر رجل أعمال فى العالم .

في هذه اللحظة أخذها طارق في حضنه وربت علي ظهرها بحنان وقال لها سامحيه يا"ألما" هو ماكان يستحق مثلك.

فنظرت له.. كيف تقول هذا وهو حب عمرى ؟

وباتت في حالة انهيار تام !!

وفي هذه الأثناء طلبت إدارة المستشفى إنهاء إجراءات إستلام الجثامين وبالفعل أنهى طارق كافة الإجراءات وتمت مراسم الدفن ..

وفى العزاء تذكرت"ألما" كيف علمت بخيانة زوجها وكيف إتفقت مع منصور بأن يراقبهما، وعندما علم بوجهة سفرهما الي الأسكندرية

وتغيير خط السير لاحت له فكرة بأن يتصل بصديق كان معه بالسجن يعمل على مقطورة ، وأن يخرج من الجهة التي يتخذها أشرف . وهنا يتم الحادث قضاء وقدر علي أن هذا الطريق لسيارات النقل ، وأن أشرف أخطأ فى تقدير الطريق ،،

حقًا انها لُعبة القدر..

بعد أن كانت يدا منصور هى التي ستلوث بالدماء ، حدث الحادث شبه القضاء والقدر... ومضي بعد الحادث سبعة أشهر.

باتت "ألما" مرتاحة لأن القدر تدخل ولم تلوث يديها ، ولكن أفكارها الشيطانية هى اللبِنة الأولي في هذا الحادث ..

في الأسبوع الثاني من بداية الشهر الثامن بعد وفاة زوجها ، فاتحها طارق في طلب الزواج منها وأنه كان يحبها من قبل شقيقه المرحوم أشرف . وهي تعلم هذا ، ولما علم أنها وأشرف يرغبون بعضهم البعض فضل أن يمارس دور الأب ويقف بجانبه وجانبها ...

أما الأن فهو أحق بها وبإبنها نور ..فطلبت "ألما" مهلة للتفكير حيث أنه فاجأها بطلبه .

وبعد عدة أيام وافقت"ألما" علي الزواج من طارق وبمباركة الأهل والأصدقاء حيث الجميع يحب طارق لأنه رجل بمعنى الكلمة وطيلة حياته متحمل المسئولية ..

تم الزواج وانتقلت " ألما" للعيش فى فيلا طارق حيث الحديقة الواسعة والأشجار الشاسعة ونباتات الزينة النادرة ، وكانت كل يوم تتناول الفطور فى الحديقة وتتمشى قليلًا هي وطارق قبل ذهابه للعمل.

وشعرت بحب طارق الجم لها ولأبنها .

وبعد عدة أشهر أنجبت إبنها نادر، وبعدها بعام أنجبت إبنتها" ناردين" ..
فأصبح لديها "ناردين "، و"نور" ، و"نادر"، وهى فى سعادة جمة بعد مرور ثلاث سنوات من زواجها بطارق ويحب أولاده جميعًا ، ولا يفرق بين إبنها وأبنائه فكلهم سواسية ...

وفى يوم من الأيام تأخر طارق عن موعد عودته الى المنزل فهاتفته فقال أنه أمام الفيلا ،
وعندما دخل من الباب كانت في إستقباله وقبلته وهنا شمت رائحة غريبة تبدو لها رائحة إمرأة .
فسألته لمن هذه الرائحة الغريبة فقال لها:
أنها رائحة سيدة أجنبية جاءت مع الوفد ، و طلب منها أن تترك التحقيق معه الآن لأنه متعب وأن تتركه ينام.
فإغتاظت "ألما "، ولم تصدقه وظلت تفكر ماهية المرأة التى أزكمت أنفها برائحتها !!
مر شهر وراء الشهر وطارق يتأخر في العمل وعندما يعود تسأله"ألما" وكل مرة يكون له من الأعذار مايؤلمها .
ولكن هذه الليلة تختلف ، فعندما عاد طارق الي المنزل وسألته هل أعد لك العشاء فإعتذر وقال: أنه ذهب للعشاء مع والدها ليتحدثوا فى أمور خاصة بالعمل .
فتظاهرت بتصديقه وإستأذن لينام لأنه مجهد جدًا .
فإشتاطت ألما غيظًا وظلت تفكر حتى هداها عقلها لأن تتصل على والدها لتطمئن عليه وتسأله عن طارق .

وهمت بالإتصال وبعد السلام والحديث الذى لم يطول فقد فجعت عندما علمت من والدها أنه لم يتقابل مع طارق منذ أسبوعين !! فأغلقت الهاتف وأشعلت التلفازووضعت فيلم "بيرانا" لتستمتع وتفكر جيدًا فيما يريحها ، وبعد إنتهاء الفيلم إتصلت بمنصور زوج المربية تريده غدً ا فى أمرٍ هام ...

مطلقة ..

مع أنها حرة الآن لكنها ليست سعيدة بما يكفي أو كما تخيلت .. هذا ماتعرفه في داخلها. وإن لم تكن تظهره للعالم الخارجي ..
فقد إكتشفت أن للحرية ثمنًا مؤلمًا تدفعه من ماضيها، وقد تضطر الي سداد فاتورة هذا الخطأ الذي إرتكبته في حق نفسها علي حساب حاضرها الراهن ومستقبلها الغائب .
هي سعيدة الآن لأنها تحررت وتخلصت من أشباه زوج إمتهن وجودها وصادر حقها في حياة كريمة عمرًا ليس بالقصير يفوق العشرين عامًا..
كان لها بيت وأثاث وزوج وأولاد ، وكان لها فيها حزن وغضب ..ستة وعشرون عامًا فقدت خلالها الإحساس بقيمة العيش وفقدت الإحساس " بالأنا " الجميلة ، والروح التواقة للمرح.
فقدت إستعذاب تجليات الذات الفردية...
الأيام بالنسبة لها غدت زمنًا يحسب فقط حين تسقط ، وأرقامًا تستعجلها كي تمضى ركضًا الي الأمام علي مرور الوقت ليسرع فى إعتياد موت الشعور اليومي، أو تقريب ساعة الموت الحقيقية الأخيرة مرات كثيرة راودتها فكرة الإنتحار... ولكن إيمانها بالله ويقينها أن الله سيخلصها فى يوم ما من هذا المتسلط هو الذي جعلها تتحمل .
وضعت سيناريوهات عدة في رأسها المشحون بالغيظ، لكنها كانت تخاف . وسرعان ماتنسحب الفكرة من رأسها قبل بلوغ النهاية المأساوية المتخيلة بقليل ..

مرات كثيرة خططت للهرب من هذه الحياة !! سوف تحمل نفسها وماتبقي من نبض قليها وتهرب هكذا ....
أكثر من مرة فكرت فى الإنفجار والإنتحار أيضًا ....
والآن مَنْ الله عليها بالحرية المقيدة التي لاتعنيها كثيرًا أن يتفهم الآخرون معني هذه الحرية التي ناضلت طويلًا في سبيل إنتزاعها ..الأولاد سيتفهمون حين يكون لهم بيوتًا وعائلة ..
سوف يعرفون أن نضالها حتي كبروا وترعرعوا كان مشروعها ..وأن حريتها الآن حق لم يكن من حقها سابقًا أن تتنازل عنه طواعية من أجلهم...
وأن هو حقهم بقدر ماهو لها ، ومكتسباته تعود عليهم قبل أن تعود عليها إذً ماحاجاتهم لأم لا تمتلك قرار نفسها ، قرار إدارة وجودها فى الحياة ..الذى يتضافر بشكل أو بآخر مع وجودهم ؟
ماحاجاتهم لأم ليست حرة، ليست هى ذاتها التى تريد أن تعيش وتريد أن تكون ؟
أما الأهل فسيرضخون فى النهاية لإستحقاقات هذا النضال متقبلين حريتها كأمر واقع.
وسواء تفهم الناس المحيطين بها أو لم يتفهموا فهذا لايعنيها فالأمر سيان .. المهم أن أحدًا بعد الآن لايجرؤ يزاحمها على حريتها .. لن يكون قادرًا على أن يسلبها ماجاهدت لنيله ..نفسها الحرة .
ومع أنها أصبحت حرة الآن لكنها ليست سعيدة تمامًا ، هذا ماتعرفه من داخلها وإن كانت لاتظهره للآخر...

لقد اكتشفت أن للحرية ثمنًا آخر فهى إمرأة أربعينية تعيش في سن نضوج طاغى وأنوثة متوهجة بعد أن كانت قد فقدت الإحساس بأنها أنثى ..

في وضعها الجديد تهمة أكثر منها حكم بالبراءة أو العفو.

أنها الآن تحمل صفة إجتماعية مرعبة "المطلقة" تجعل الآخر يستحضر في ذهنه كل الصور والتوصيفات والنمطية الفكرية المحدودة التي التصقت بالمجتمع البغيض والتي أبعد ماتكون بالحيادية " إمرأة مطلقة" هى بالضرورة إمرأة متمردة أو إمرأة نمرودة شذّت عن العُرف الإجتماعى ، وتمردت على قيم الأسرة التي تركز علي الثبات والإستمرارية بغض النظر عن إعتبارات أخرى .

إمرأة مطلقة يعني متحررة فاتنة تسحر الرجال ، ومن الجائز أن تخطفهم من زوجاتهم بالمعني الصحيح . هى إمرأة سهلة ترسل لمن يهمه الأمر رسائل حب خبيثة تعنى أنها سهلة ومتوفرة ..

للأسف بعد أن نالت حريتها من القهر العائلي أصبحت سجينة القهر المجتمعي والذي لاتستطيع أن تبوح بأنها مطلقة الا لأقرب الأقربين .

فماذا هى فاعلة الآن؟

هل تدفن نفسها كما كانت من ذي قبل للهروب من نظرة مجتمعية قميئة ؟؟

أم تواجه العالم بحريتها التي جاهدت كثيرًا في إستحقاقها بعد أن خسرت ماخسرت من حياتها وشبابها وعمرها كله الذي لايعوض ....

هل هناك فرصة جديدة لها بأن ينتعش قلبها من جديد ؟؟

أم تكتفى بهذا القدر من العذابات التى نالها قلبها ليدمى من جديد بالوحدة والقهر خوفًا من نظرة مجتمعية رجعية ..

هل ستظل حذرة من الإشارات التى يرسلها لها الآخرون ؟؟
عليها الآن أن تكون حرة بقدر مدروس ومتحررة بحدود ولأنها إمرأة مطلقة فهى ليست حرة بمعنى الكلمة .

****

كابوس السعادة

عندما نفقد من نحب، وقتها فقط نشعر بقيمته الذاتية التي كانت تحتوينا دون أن نشعر.

فالحياة مليئة بالمنغصات اليومية ،ويعتبر شيئًا تافهًا أن نرهق أنفسنا ،ومن نحب كل يوم من أجل هذه المنغصات . ثم تمضي الأيام ، والعمر يجري ،ونحن لانأبه .وتأخذنا تبعات النكد اليومي ولانستطيع أن نخرج من قوقعة الأحزان الا عندما يأتينا غيب الله ،ونعيش المأساة بكل تبعاتها .

فذات يوم دب شجار بيني وبين زوجتي كما يتشاجر الأزواج عادةً .ولكن هذه المرة كان تفوق الإحتمال.

حتى أنني قد طلبت منها الإنفصال .. أى أن كل منا يعيش بمفرده كما يحلو له ، وفى أي مكان يبتغيه. ونظرًا الى أني أرى أنني أتحمل فوق طاقتي لمقدار المشاكل التي تحط علي رأسي ، فرأيت أنني لا سعادة لي معها . وقررت أن أري سعادتي في مكان آخر.

وأعددت العُدة لهذا القرار.

فقد كنت أري زوجتي مخلوق لاطعم له ولا رائحة ، وكل ماتقوم به في المنزل شيء تافه لاقيمة له، وأي خادمة بالأجرة تقوم به .

ونسيت تمامًا أن أمي التي ربتنى كانت بموضعها في يوم من الأيام .

فكيف رضيت علي أمي أن أنعتها بالخادمة كما أنعت زوجتي الآن ؟؟.

لاأعلم !! ولكن الشيطان عندما يتملك الإنسان فلا مفر من طغيانه

وتسلطه . .
ثم بعد هذا الخلاف وما أشبعت أُذنها كالعادة من نقد لاذع لذاتها وتصرفاتها وحياتنا ككل ،
,فما كان منها إلا أن نظرت لى نظرة لا أنساها حتي اليوم .
هل هي كانت نظرة لوم وعتاب أم كانت نظرة ندم علي حياتها التي ضاعت هباءً ،أم نظرة عطف وشفقة علي ماسوف أراه بعدها ؟؟
لاأعلم .
ثم تركتني وذهبت لغرفتها تبكي طيلة الليل وأنا أسمع أناتها ولا أهتم .
وتركتها علي هذا الحال كالعادة.
وغطت في سبات عميق وأحلام سعيدة بما ينتظرني من حياة جديدة سوف أعيشها بعد إنفصالنا .
وحلمت بمحبوبتي التي أواعدها كل يوم وأتحدث معها بالساعات في حالة من الوله والغرام وخاصة بعدما إتفقنا كيف سنعيش حياتنا بعد إنفصالي من زوجتى .
فهيأت في مخيلتى المنزل السعيد الذى يخلو من المشاكل والمنغصات اليومية، فأهلًا بالحياة مع محبوبتي.
وفي صباح اليوم التالى لم أجد زوجتى مستيقظة كالعادة لتحضر لي الإفطاروالحمام وخلافه كعادتها ، فأيقظتها بأسلوب قاسٍ فلم تستجب ... يالله زوجتى توفاها الله !! ماتحملت إهانتى لها بالأمس ففارقتنى قبل أن تراني سعيدًا مع غيرها . الهذا الحد كان الله رفيقًا بها ؟؟ سبحان الله !!
فإستقبلت قضاء الله بإحتسابها عنده من الصابرين على هذا البلاء، ودعوت لها أن يرزقها الجنة ويغفرلها ماتقدم من ذنبٍ وماتأخر.

ثم شيعت جثمانها الى القبروتلقيت العزاء من الأهل والأصدقاء وأنا لا أشعربفارق في حياتى سوى الحزن الذى سوف يزول يومًا بعد يوم.
فهذه حكمة الله.. يولد الحزن كبيرًا ثم يقل حجمه.

فهكذا كنت أظن وأيضًا للعشرة التى كانت بيننا .

ثم رجعت بعد العزاء الي المنزل الخاوي من صوتها ،فعندما دخلت شممت رائحتها والتي كانت تضعها لإستقبالي .
فناديت عليها لعلنى أجدها ترد علىّ .فلم أسمع سوى صدي صوتي بالمكان .

فإعتصرقلبى حزنًا علي فقدانها .

فبكيت عليها وأنهمرت دموعي لأول مرة من وفاتها

.وأحسست ببرد يدخل جسدي وكأنها أخذت الدفء والحنان معها ثم دخلت الي غرفة نومي لأبدل ملابسي وأحاول أن أنام فنظرت الي مكان نومها لعلني أجدها فشعرت بفراغ المكان في قلبي لا علي السريرفاستسلمت للأمرالواقع وخلدت الى النوم نظرًا للإرهاق الذى إحتلني بسبب مراسم العزاء.

وعند إستيقاظى في الصباح وجدتني قد تأخرت علي العمل ولم توقظني كالعادة.

فاستدرت لأوبخها علي إهمالها لي فلم أجدها.

وتذكرت أن الله أراحها مني الي الأبد، ومن تصرفاتي وعدم تقديري لها ولا بد أن أعتمد علي نفسي من اليوم، وقد تكون هذه هي المرة الأولي في حياتي أن أعتمد على نفسى .

فقد كنت الإبن المدلل لأمي رحمها الله، والزوج المتواكل بالأمرعلى زوجتي رحمها الله منذ أن تزوجتها .

كان عليّ أن افكر كيف سأقضي حياتي بعدها ،وكيف سأتزوج بمحبوبتي بعد مرور الأربعين يومًا على الأقل ،فأنا لاأحتمل أن أخدم نفسي، ولابد من شريك في حياتي يدللني ويحبني ويلبي متطلبات حياتي..هكذا فكرت .

ثم ذهبت إلي عملي ومر اليوم علىّ ببطء شديد. دون أدنىّ مكالمة تليفونية منها تطمئن على سلامة وصولي للعمل.

وبعدها مكالمة أخري تطلب فيها بعض طلبات المنزل لأحضرها في عودتي .

والتي كنت أوبخها أيضًا على طلباتها المستفزة بالنسبة لي .

وكانت تستقبل توبيخى بنفس طيبة ودعوات بأن أصل للمنزل بسلامة الله ، وأن لايحرمها مني أبدًا . وأنا كنت لا أقدر هذا للأسف.

فكنت أتعمد مضايقتها وأعود للمنزل متأخرًا حتي تمل مني ولا تطلب شيئًا آخر بعد ذلك . ولكنها كانت تستقبلني بكل حب وبإبتسامة صافية وكلمة حمدًا لله على سلامتك ياحبيبي ،

- جبت كل إللي قلتلك عليه ؟ -

- إتفضلي ياهانم شوفي يمكن تلاقي حاجة ناقصة .

كنت متعسفًا في ردي عليها وأرىّ أنه سوء إستقبال .

والآن أشتاق لمكالمة منها ، وأريد أيضًا سماع هذه الجملة مرة أخرى. فالبيت أصبح خاويًا لا روح فيه، والدقائق تمر ساعات ،وأنا وحيدًا وخاصة أننا لم ننجب أبناءًا تؤنس وحدتي بعدها .

وفكرت جديًا أنى لابد أن أتزوج محبوبتي التي لطالما تحدثنا سويًا عبر الهاتف وكم أخبرتني أنها لم تعد تتحمل بعادي عنها أكثر من ذلك .

وعقدت العزم علىّ أن أفاتحها في هذا الأمر وأنا أعلم أنها رقيقة

وسوف تصعب عليّ الأمر برفضها حتىّ يمر على وفاة زوجتي الأربعين يومًا علىّ الأقل .
وبالفعل تحدثت معها ولكنها وافقت على الفور وقالت لي أنها موافقة من أمس وليس الأن فقط.
ففرحت فرحة مابعدها وكأني شاب مراهق فرح بأول موعد مع محبوبته .
وإتفقنا علىّ موعد لعقد القران ولم يكن من متطلباتها سوى خاتم الماظ حتىّ تتباهى به أمام عائلتها ..
ياالله أول القصيدة هكذا ؟؟
وكالعادة ككل الرجال الذين في مثل حالتي وافقت على الفور وإشترينا الخاتم الألماظ بمبلغ وقدرة ، وفستان لزوم الفرح لأنها لم تدخل دنيا مثلي ومؤخر صداق كمثيلاتها من بنات العائلة ، ويكفيها أنها وافقت على المعيشة بشقة زوجتي المتوفاة
.والى هذا الحد جائزومشروع وأنا أوافق بكل ترحاب فهىّ التي ستعيش معي النعيم الأبدي فهىّ تحبني حبًا جمًا لايضاهيه حب في العالم وكم تألمت لبعدي عنها وأنا في حضن زوجتي وهي وحيدة ...
وجاءت اللحظة المنتظرة أمام المأذون وسألها هل توافقين على أن يكون زوجك في السراء والضراء ؟؟
_نعم أوافق ولكن من فضلك سيدى أنا أريد مؤخر الصداق المسمى بيننا مليون جنيه !!
- فأنا حقًا مذهول ولكني لاأستطيع أن أعارضها لأنها حبيبتي التي كثيرًا ماحلمت بها .
فهي التي تسعد ماتبقي لي من أيام .

فأومأت برأسي للمأذون بالموافقة، وبالفعل كتب هذا الصداق وتمت مراسم الزواج وذهبنا الى مكان ساحلي لقضاء شهر العسل .
وفى هذه الأثناء وقبل أن أهُم بها طلبت مني سيارة هدية الزواج !!
- لماذا ياحبيبتي الم أكتب لكِ مليون جنيه مؤخر الصداق ؟؟
فردت عليّ بتغنج شديد أثار حفيظتي كرجل . – وهل يازوجي العزيز أنا ملكتهم في يدي أم هم حبر على ورق ؟؟
الحقيقة أنا اقنعت نفسي بإجابتها ووعدتها أننا سوف نشتري السيارة فور عودتنا الي المنزل .
-فكان ردها الأسرع والأقوي وبتعنج أقوي من ذي قبل – وهل ياحياتي يأتي العيد قبل رمضان أم بعده ؟؟؟
أذهلتني الإجابة حقيقي وبالفعل ضاعت علينا ليلة الزفاف في هذا الهراء على أن يحل الصباح سأنفذ كل طلباتها وأشترى السيارة .
نمت في سرير آخر وحدي وهذا دون إرادتي ، ولكن بمطلب منها .
فلبيت لها رغبتها خوفًا من أن تظن بي أنني شهواني .
وتذكرت في هذا الوقت زوجتي الوفية رحمها الله وكم كنت أقسو عليها، ولكنها طيلة حياتها لم تطلب مطلب شخصي لها ..
حتي في أحلك الظروف كانت هي يد العون لي بحُليها ونقودها الخاصة وبكل ماتملك. وللأسف أنا كنت قاسي القلب عليها .
يـالله !! كم تركتها تقضي الساعات وحيدة يوميًا بدون أن أفكر فى إحساسها، كم أهملتها وكنت أنظر إلي نفسي فقط دون أن أنظر إلى راحتها وسعادتها كم فكرت فيما أريده أنا ... لا ما تريده هي رحمها الله .
- وفي الصباح أيقظتني حبيبتي حتي نذهب لشراء السيارة ، ولكني لاأعلم ماذا حل بي فأنا لم أستطع النهوض من مضجعى فإذا بوابل

من الصراخ من حبيبتي تتهمني أنني أفتعل هذا المرض حتى لاأشتري لها السيارة .

وبات الدلع والتغنج شرشحة من الطراز الأول وتركتنى مريضًا وذهبت هي تغير جو لأيى عكرت مزاجها ..

كل هذا وأنا لاأعلم ماذا حل بي ، فرعشة جسدي تزداد وأنا اتألم ولاأستطيع الحراك .

في هذا الوقت تحديدًا شعرت كم إفتقدت زوجتي المغفور لها ويدها الحانيتين ورعايتها لي ،وسهرها علىّ إلى أن يتم الله شفائي كأنها أمي وليست زوجتي..

وبكيت كما لم أبكِ من قبل وظللت أدعو لها ... يارب إرحمها بقدر ما ظلمتها أنا ، وظللت هكذا حتى غلبني النوم.

ولم أفِق إلا على رنين جرس المنبه فإعتدلت في فراشي فوجدتني في بيتي القديم

. ..

فنهضت من مضجعي بسرعة لأبحث عن زوجتي المتوفاه في المنزل، فوجدتها في المطبخ تعد لي الإفطار كعادتها ، وكأن لم يحدث شيء بيننا البارحة، وكأنها لم تسمع مني كلمة إنفصال .

وأني لم أتزوج غيرها فما هذا ياالله...

أنه مجرد كابوس تملكنى طيلة الليل. فإستعذت بالله من الشيطان الرجيم.

وحمدت الله وشكرته أنه مجرد حلم مزعج هيأه الشيطان ولم يحدث في الواقع ولم يكن لي زوجة أخرى غير زوجتي الوفية.

.

ثم إقتربت منها وقبلتُها للمرة الأولي ، وطلبت منها أن تسامحني على مافعلته بها بالأمس. .

- فنظرت إليّ بإستغراب لا يخلو من العتاب

- فلم أتمالك نفسي وأمسكت بيديها وقبلتُها

- ثم نظرت لها بعين دامعة وقلت لها بحبِكِ من كل قلبي

- فقالت وأنا أحبك أكثر

- فقلت لها أنا إكتشفت أني لا أستطيع الحياة بدونك فبكيت بهدوء، ثم مسحت دمعتي بيدها الرقيقة وسألتي متعجبة !!

لما هذه اللهفة علىّ ياحبيبي .

- قلت : خِفت عليكِ كثيرًا حبيبتي عندما لم أجدك بجواري عند إستيقاظي، وأعتقدت إنكِ تركتي المنزل جراء ماحدث البارحة .

- فردت علىّ بعطف ! كيف أترك عمري وأيامي وأرحل بعيدة عنك .

فجدران هذا المنزل تشهد علىّ كل نفس تنفسناه سويًا .

فكيف للرياح العاتية أن تهدم قصرنا وتفقدنا بعضنا، ونحن لانملك من الحياة الا قلوبنا وحبنا فهىّ القصر الذى يأوينا ..

فأجبتها ..

أنتِ السكن والمودة والرحمة اللاتي حبانى الله بهما ..

أنتِ هدية الله الذى رزقني إياها ...

****

تمت بحمد الله

الفهرس

بائع السعادة ..	٧
ترانيم الشيطان	١١
ورحلت الفراشة ..	١٧
نصفى بلا آخر ..	٢١
فوق مستوى المستحيل	٢٩
فستان أحمر	٣٣
زخات المطر	٤٧
رسائل الله	٥١
ابن مـــوت	٥٩
التنورة الزرقاء	٦٣
امرأة بمائة عقل	٦٩
جائزة السماء ..	٧٥
جرح الروح	٨٣
بيـــرانا	٨٧
مطلقة ..	٩٧
كابوس السعادة	١٠١